حُماة اللغة العربية المعاصرون في الشام

بقلم: عيسى فتوح

تعلق الشاميون باللغة العربية الفصحى منذ عهد بعيد، لتمسكهم الشديد بعروبتهم وقوميتهم ودينهم، فاللغة - كما هو معروف - أقوى العوامل المؤثرة في تكوين الأمة، وهي مرآتها وسجل تاريخها، ومستودع حضارتها، ومعدن عبقريتها، ووعاء فكرها، ونبض فاعليتها، وصورة أحوالها في كل أدوارها.

وبقاء الأمة مرتبط بحياة لغتها، وموتها مرتهن بخمولها، وإذا كان للعرب صفات روحية مشتركة، فسبب ذلك وحدة لغتهم، ووحدة تاريخهم وتراثهم، ووحدة ذكرياتهم وآمالهم، لا وحدة أصلهم ودمهم. ولم يكن أحد يتوقع أن يتفرق العرب إلى دويلات مختلفة، بعد انفصالهم عن الدولة العثمانية، على أثر الحرب العالمية الأولى، ولكن المستعمرين هم الذين أرادوا لهم هذا التفرق المؤلم، والانقسام البغيض، ولا يزالون حتى الآن يسعون بكل ما لديهم من وسائل لتفكيك عُرى تضامنهم، وتمزيق وشائج كيانهم، وتقويض أركان وحدتهم، فتارة يتهمونهم بعقم لغتهم، وأنها قاصرة وعاجزة عن استيعاب مصطلحات العلوم العصرية، ومعطيات الحضارة الحديثة، وتارة يغرونهم باستعمال العامية بدلاً من الفصحى، واستبدال حروفها الجميلة بأحرف لاتينية، إلى آخر ما هنالك من الدعوات المريبة والنعرات المشبوهة التي لا تكاد تخمد حتى تندلع من جديد، وقد تصدى لهؤلاء المشككين عدد من حراس اللغة الأشداء، وحماتها البواسل، وراحوا يذودون عنها بكل ما في أعصابهم من حمية، وما في ضمائرهم من إخلاص، أذكر منهم في سورية: عبد الغني النابلسي، وسليم البخاري، وجمال الدين القاسمي، وطاهر الجزائري، وبدر الدين الحسني، وعطا الكسم، وعبد القادر المبارك، وسليم الجندي، ومحمد البزم، وعز الدين التنوخي، وبدر الدين النعساني وآخرين من أصحابهم وتلامذتهم، كعلي الطنطاوي، وسعيد الأفغاني، وجميل

سلطان، وزكي المحاسني، وعبد الهادي هاشم، ومحمد المبارك، وأحمد راتب النفاخ، وهم جميعاً من أعلم علماء اللغة العربية في هذا العصر.

لقد اهتم هؤلاء العلماء على اختلاف أجيالهم، بالحفاظ على مفردات اللغة، والأساليب العربية القديمة دون تغيير أو تبديل، ولذلك كانت عنايتهم باختراع المعاني أقل من عنايتهم بضبط الألفاظ، وتخير التراكيب والأساليب البليغة.

لم يكن اهتمام هؤلاء النقاد بألفاظ اللغة وتراكيبها بدعة حديثة، وإنما هي نزوة قديمة تميز بها علماء الشام في مختلف العصور، فقد اشتهروا بالعناية بالألفاظ، لاعتقادهم بأن اللغة هي روح الأمة، وأهم مقوماتها، وأداة التفاهم بين الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج، ولذلك اتصف إنتاجهم على العموم بالحفاظ على الألفاظ الفصيحة، والتراكيب الصحيحة، والعناية بالناحية اللغوية، ولعل سبق سورية إلى إنشاء أول مجمع علمي عربي في دمشق ١٩١٩ وإصرار جامعتها على تعريب المصطلحات العلمية في وقت مبكر، وتدريس مختلف العلوم باللغة العربية أكبر دليل على اهتمام السوريين بالحفاظ على الفصحى، والعمل على تقويتها، حتى تصبح لغة صالحة لاستيعاب جميع العلوم الحديثة.

لقد نسج جميع هؤلاء الكتاب والنقاد على منوال القدماء، وانتقدوا لغة المجلات والجرائد، وميزوا بين الصحيح والدخيل، وبين الفصيح والشاذ، وراحوا يدافعون عن حياض اللغة العربية ضد كل من تسوّغ له نفسه الاعتداء عليها، فما من مجدد طالب بإصلاح النحو، أو إصلاح الكتابة، أو تبديل حروفها، أو استعمال بعض الألفاظ العامية، أو التراكيب الأعجمية، إلا لقي من هؤلاء الرجال من نصب له العداء، مؤكدين أن السر في ثبات اللغة العربية على مر الزمان، رغم النكبات التي مرت بها، إنما يرجع في نظرهم إلى القرآن الكريم، فالعربية لغة القرآن، وكل من أراد أن يكون إماماً فيها، فليكن خادماً للقرآن.

يقول سليم الجندي (١٨٨٠ - ١٩٥٥): "منيت اللغة العربية بضروب من النكبات التي لو نزلت على جبل شامخ لتصدّع، ولو أصاب غيرها من اللغات معشار ما أصابها منها، لعفت رسومها، واندرست معالمها، ولكن الفضل في سلامة هذه اللغة الكريمة، ونجاتها من الموت إنما يرجع إلى القرآن الكريم.

كان سليم الجندي - وهو واحد من أبرز علماء اللغة في سورية - يرى أن "المثل الأعلى في النثر هو الأسلوب العربي القديم المستوفي لشروط الفصاحة والبلاغة، وأن المثل الأعلى للشعر هو الشعر الجاهلي والأموي و العباسي، فالألفاظ يجب أن تكون مختارة بدقة، ومناسبة لموضوعها، فيها عذوبة وفخامة وجَرْس وقوة جزالة، لا سوقية مبتذلة، ولا صعبة أو غريبة أو متنافرة، وأما التراكيب فيجب أن تكون متينة السياق، سليمة من الغموض والتعقيد، بعيدة عن التكلف، مشتملة على المحسنات البديعية، تسابق معانيها ألفاظها، وأما المعاني فيجب أن تكون صحيحة وصادقة، وكل قديم من أقوال البلغاء جيد وجدير بالإعجاب، وكل جديد مخالف لأساليب الفحول رديء ومهلهل".

وكان الشيخ عبد القادر المبارك شديد العناية بمفردات اللغة وتراكيبها، حتى اشتهر بحفظ معجم "القاموس المحيط" للفيروزابادي، ومثله محمد البزم الذي كان شديد الافتخار بالحفاظ على فخامة الألفاظ، ومتانة الأسلوب، إذا قرأت قطعة من شعره، حسبت أنك تسمع أصداء شاعرٍ جاهلي أو أموي. ويتفق هؤلاء العلماء جميعاً على أن الكاتب لا يعد بليغاً، إلا إذا كانت ألفاظه فخمة وتراكيبه بليغة.

لقد سعوا بشدة لكي يعيدوا اللغة العربية إلى سالف مجدها، لأنها لغة القرآن، وقوام الأمة،

ذلك أننا لا نستطيع أن ننجوَ مما حل بنا من الاضطراب الثقافي، إلا إذا تعلقنا بأهداب الماضي، وكانٍ محمد البزم إذا رأى كلمة مولدة، أو فعلا عُدّي بغير حرفه قال " هذه لغة السوقة والأزقة"، وكان يعتقد أن الشعر الحديث الممزوج بالأنوثة والتميع يفسد ذوق الطالب، ولا يرضيه من الشعر إلا ما كان فصيح الألفاظ، بليغ التراكيب.

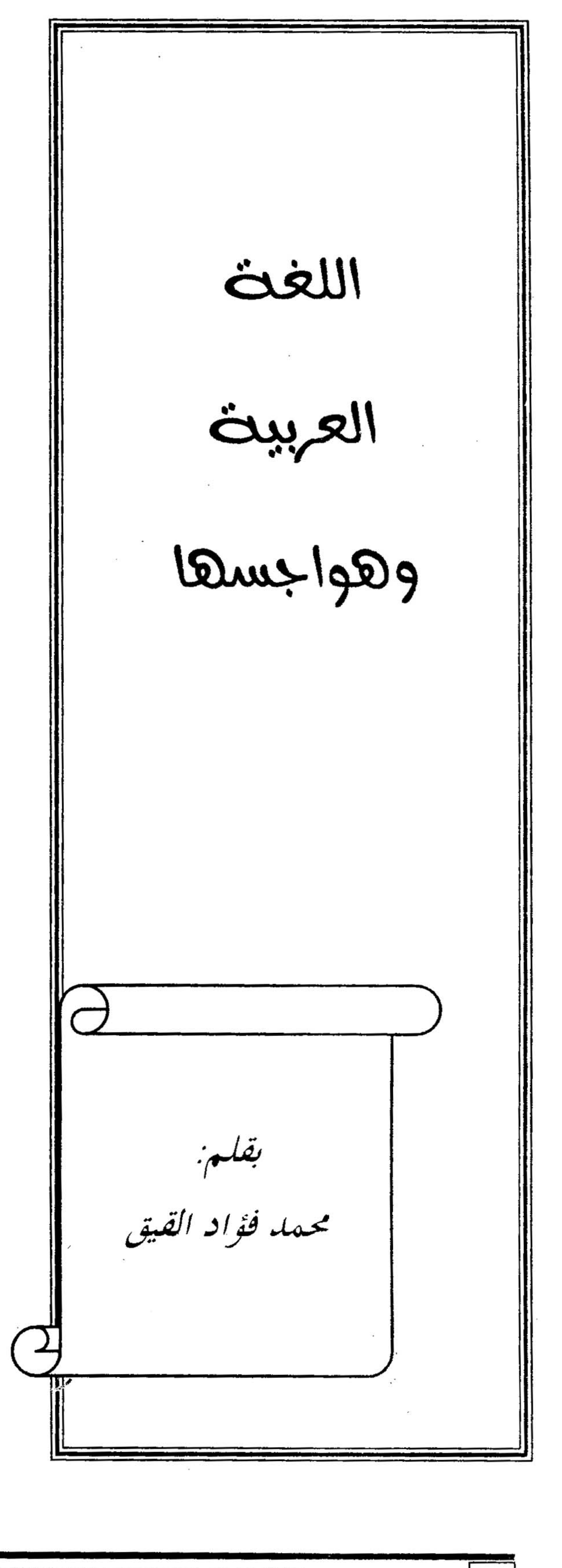
أحس هؤلاء المحافظون الغلاة أن السكوت عن التجديد خيانة، ورأوا أن العصرية هي عصرية استعمار، لا عصرية تجديد وابتكار، لأن الابتكار والتجديد يمكن أن يتما بالمحافظة على قوالب اللغة، فلا ينبغي أن تمسخ اللغة العربية بتحويل صورتها إلى صورة أقبح منها، وإنما ينبغي أن نحافظ على أساليبها البيانية، فلكل لغة طبيعتها، وأول سبيل إلى الإصلاح الرجوع إلى المنهل العذب الذي شرب منه القدماء، وكل من يسعى وراء الإبقاء على نقاوة اللغة وسلامتها، فهو إنما يفعل ذلك بهدف واحد، هو الحفاظ على التراث العربي، وإحياء قيمه.

يقول أستاذنا سعيد الأفغاني في كتابه (حاضر اللغة العربية في الشام ص ٢١٤): "إن طبيعة اللغة العربية الفصحى القوية، وعملها الدائب في حفظ الوحدة العربية قد استعصيا على كل تهديم زكي أو غبي، وعالميتها من الصين إلى الأطلسي أعيت دهاء الماكرين من أعدائها، حتى في أشد عصور الفرقة والانحلال، يوم كانت في كل مقاطعة دولة، حين انحلال العرى السياسية انحلالاً تاماً، وتباعد الشعوب المجاورة، وبطء المواصلات وصعوبتها فيما بينها، يوم لم يكن أمن ولا رعاية، ويحكم الشعوب المجزأة حكام من غير العرب، حتى في أحلك العصور، حفظت لغتنا الشاملة أدبنا الموحد، فتثير مشاعرنا اليوم قصيدة نظمها شاعر من مراكش، كما تثيرها قصيدة شاعر آخر من مكة قبل ألف عام أو ألفين، يفهم صغارنا اليوم هذه ويتذوقونها، كما يفهمون تلك ويتذوقونها، وليس على الأرض قط لغة لها هذا الشمول في الزمان والمكان، وتلك معجزة العربية البادية لكل ذي عينين..".

إن الباعث على حفظ اللغة في نظر الأفغاني ليس دينياً فحسب، وإنما هو قومي، وهو يعترف بفضل الرعيل الأول من كبار الأساتذة في الشام في تقوية اللغة العربية، ويشيد بفضل المجمع العلمي العربي، وفضل الجامعة السورية، ولاسيما أساتذة كلية الطب في وضع المصطلحات العلمية الصحيحة، كالدكتور مرشد خاطر، والدكتور أحمد حمدي الخياط، وصلاح الدين الكواكبي، والدكتور حسني سبح (رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق سابقا) وغيرهم.

وإذا قيل إن هنالك صعوبات في تعليم اللغة العربية، وحفظ قواعدها وأساليبها، رد الأستاذ سعيد الأفغاني بقوله: "إن قواعد اللغة العربية إذا قيست بغيرها من قواعد اللغات الحية بدت أكثر سهولة وإحكاماً، ولكن التأليف فيها هو الذي يحتاج إلى المزيد من التنسيق والتسهيل والإتقان، فكتب القواعد يجب أن تقتصر على اللهجة القرشية التي نزل بها القرآن الكريم وما ضاهاها، بحيث تكون خالية من الاستثناءات والتفريعات، مقتصرة على الأشيع والأفصح".

لقد تميز هؤلاء المتشددون بحرصهم البالغ على اللغة العربية وأساليبها وهيئة تراكيبها، حتى لا يكتب الكاتب إلا بأسلوب البلغاء، ولا يتكلم إلا بلغة قريش وما ضاهاها من اللهجات، فإذا نقدوا نثراً أو شعراً، وزنوه بموازين القدماء اللغوية والبيانية، وإذا رسموا للمتعلم خطة نصحوه بدراسة آثار السلف ممن أجمعت الأمة على تفوقهم في هذه الصناعة كالجاحظ، وابن المقفع، وعبد الحميد الكاتب، وسهل بن هارون وغيرهم ممن كتبوا مع طبعهم، غير متكلفين ولا متصنعين.



اللغة العربية وهواجسها

بقلم: محمد فؤاد القيق

من الحكمة أن نعرّف المادة من خلال دورها الوظيفي في هذا الوجود، وعلينا أن نعلم يقيناً أنها وجدت بناءً على برنامج موضوعي وفق ضوابط وقوانين محكمة، لتظل الحياة بكينونتها وجماليتها نسقاً إبداعياً مستمراً عبر الأجيال.

واللغة أنموذج حيث أنها الأداة الحقيقية للتواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وإنها الوعاء الذي يحتضن الفكر والعاطفة معاً وتظل حاملة للتراكم المعرفي في الذاكرة، حيث لم تعد قاصرة على المفاهيم القواعدية بل هي الواحة التي يترعرع في أرجائها الأدب وقد تجاوزت الحدود الجغرافية لتشكل على سبيل المثال:

مجموعة الدول الفرنكفونية ودول الكومنولث لتشكل فيما بينها أهدافاً إستراتيجية، وعبرت اللغة دول العالم من خلال المنجزات العالمية.

وتلعب اللغة دوراً بارزاً داخل الذات الإنسانية وخارجها، وتتجلى بالإضافة إلى ما سبق بنقل المنطق من دائرة الفكر إلى خارج الذات وكذلك تماهيها مع لغة الفطرة لتشكل خصوصية العقل. وتبقى اللغة تستمد تجددها من المجتمع صاحب الحركة التنموية والنهضوية في كافة مجالات الحياة (اقتصادية، علمية، فكرية...) ومثال على ذلك: إن اتساع دائرة الإنجاز في المجالات العلمية والتكنولوجية في العالم تؤدي إلى اتساع مقابل في المسميات،وهذه قد تكون متوفرة ضمن إطار اللغة أو يتم اشتقاقها والعلاقة بينهما تناسب طردي بمعنى كلما زادت كمية الإنتاج العالمي من مواد جديدة قابلها زيادة في المسميات وكذلك في كل العلوم النظرية مثالاً في الأدب.

إن تشكيل الصورة الشعرية ضمن إطار إبداعي يعطي فضاءً جديداً للكلمة ويحررها من قالب المعنى الضيق، وبدورها تقوم بتحرير اللغة من سلطة المعنى التقليدي ومن حدودها المغلقة لتبني الصورة اتساعاً جديداً للغة.

وما يهمنا هو لغتنا العربية لغة الضاد التي تحمل خصوصية متميزة تجعلها خارج نطاق الانقراض أو الموت السريري أو التماهي في

بحور اللغات الأخرى مهما تداعت عليها الثقافات العالمية والسبب بسيط جداً إنها لغة الوحي والقرآن لقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

واللغة العربية لغة شاعرية تحمل موسيقى عالية وكل حرف يحمل بداخله إيقاعه الخاص وهذا يكفي لخلودها.

لكن الرعاية الإلهية لم تعطنا الحق في التغافل عنها أو إهمالها على شواطئ الجهل وتركها تغوص في بحر العامية واللهجات المحلية أو تمضي في مهب الثقافات العالمية.

وعلينا ألا نقف مكتوفي الأيدي أمام التحديات، فاللغة نحن ونحن اللغة فالخوف على مجتمعنا العربي من الضياع وانكسار المستقبل أمامنا. يحتم المزيد من التمسك بها والحفاظ عليها. إن فقدان اللغة والهوية الثقافية يعني الدوران في فلك الآخر، ولغتنا قادرة على التوسع ذاتياً لأنها مرنة ولا ينقصها سوى الاهتمام والانضباط ببلاغتها وقواعدها النحوية والصرفية وانفتاح القائمين عليها مثل أعضاء مجمع اللغة العربية.

والسؤال كيف نحافظ على لغتنا ونجددها؟

ما نلاحظه في الوجود هو خاصية الانتماء فالنجوم تنتمي إلى مجرات مختلفة والذرات المتشابهة إلى مادة واحدة، يعني ذلك أن هناك خاصية التبادل من أجل التوازن الكلي أو الاستفادة من التوازن الكلي للانتماء.

واللغة العربية هي انعكاس للوضع العربي العام فهي تتأثر به وتؤثر به، فإذا كانت الأمة في حالة ازدهار وقوة انعكس ذلك على اللغة والعكس صحيح.

والحقيقة أن لغتنا تستباح من خلا ل المعرفة والإنجاز العلمي العالمي وغيره، والجدير بنا أن نبحث عن منهج لتقدمنا وبناء حضارتنا كي ترتقي اللغة عالميا ومحليا ونمضي في تجديدها دائماً من خلال البناء الاقتصادي والصناعي والثقافي والاجتماعي إلخ.

وهذه بعض الاقتراحات المتواضعة والمختصرة والتي تتكئ على مشروع قومي يتبناه كل الغيورين من الأمة على بناء نهضتها ولغتها وثقافتها وهي كالآتي:

١- شفافية ومصداقية الدور الإعلامي حتى تكون منجزاتها محفزاً للقراءة.

٢- اعتماد اللغة العربية مشروع قومي مستمر في التعليم ووسائل الإعلام.

٣- احترام لغتنا في كافة المحافل الدولية والتعصب لها كباقي دول العالم.

٤- الرقابة الجادة على المسلسلات باللغة العامية أو باللهجات المحلية.

٥- مواكبة المجمع اللغوي العربي لحضارة العالم بمعارفها كلها وتعريب كل ما يستجد على الساحة العالمية.

٦- تحريض المواطن العربي على القراءة والمطالعة وتبني مشروع ينظم ذلك مع توجه جديد للتشجيع.

٧- التواصل العربي العربي وتجاوز الجغرافية السياسية.

٨- تدريس كافة المواد في كافة المراحل باللغة العربية الفصحى، وإبقاء مادة اللغة العربية مادة أساسية في المرحلة الجامعية.

٩- اختصار التفصيل في النحو والإعراب والبلاغة البيان في السنوات ما قبل الاختصاص.

١٠- تفعيل المراكز الثقافية في الريف العربي ولكافة المراحل العمرية ورفع موازناتها تشجيعاً للمبدعين والمتلقين على حد سواء.

١١- إعداد علماء لغويين لتفعيل الفكر اللغوي لفتح آفاق معرفية جديدة تشكل علاقات بين الكلمة والمعنى في إطار التركيب السياقي الذي يؤدي إلى إنتاج موسوعة لغوية ومعرفية قادرة على احتضان الرؤى كلها في هذا العالم.

ولا يفوتني القول إن لغتنا العربية لا خوف عليها من الثقافات العالمية ولكن الخوف من العرب أنفسهم لأن عدم احترام لغتنا وثقافتنا وخصوصيتنا تجعلنا في حالة تماهي مع الآخر لغةً وثقافةً وسلوكاً، فالتبعية تفقد الإنسان التطور والإبداع لأنه في أحسن الأحوال يكرر الآخر تراكميا ويؤدي ذلك في النهاية إلى سبات فكري.





زين..

شعر: جابر خيربك

في عيد ميلاده الثاني

عامـــان مــرَّا وزيـــنٌ فوقهـــا عـــبر

نحـــو الشــباب كبــدرٍ شــعَّ وانتشــرا

حَملتُـــه في حنايـــا الصـــدر أمنيـــةً

فلـــيحفظ اللهُ ذخـــراً ذلـــكَ القَمَـــرا

تردنـــي للشـــباب الغـــضِّ يـــا ولـــدي

إذا رأيتُـــك غـــاب الشـــيبُ وانحســـرا

فأنـــت أغنـــيتي الكـــبرى وقـــافيتي

يصـــبُّها القلـــبُ مـــن أعماقـــه دررا

فمـــا خلـــوت إلى نفســـي وحرمتِهـــا

إلاَّ ورسمُك من خلفِ المدى حضرا

*   *   *

يـــا زيـــن هـــذا البعـــاد المـــرُّ يحـــرقني

فأسلب الـــدمع حزنـــاً أغســـل البصـــرا

فكيـــف أحيـــا بقلـــبٍ بـــات مشـــتعلاً

بالنائبـــات تتالـــت فوقـــه زمـــرا





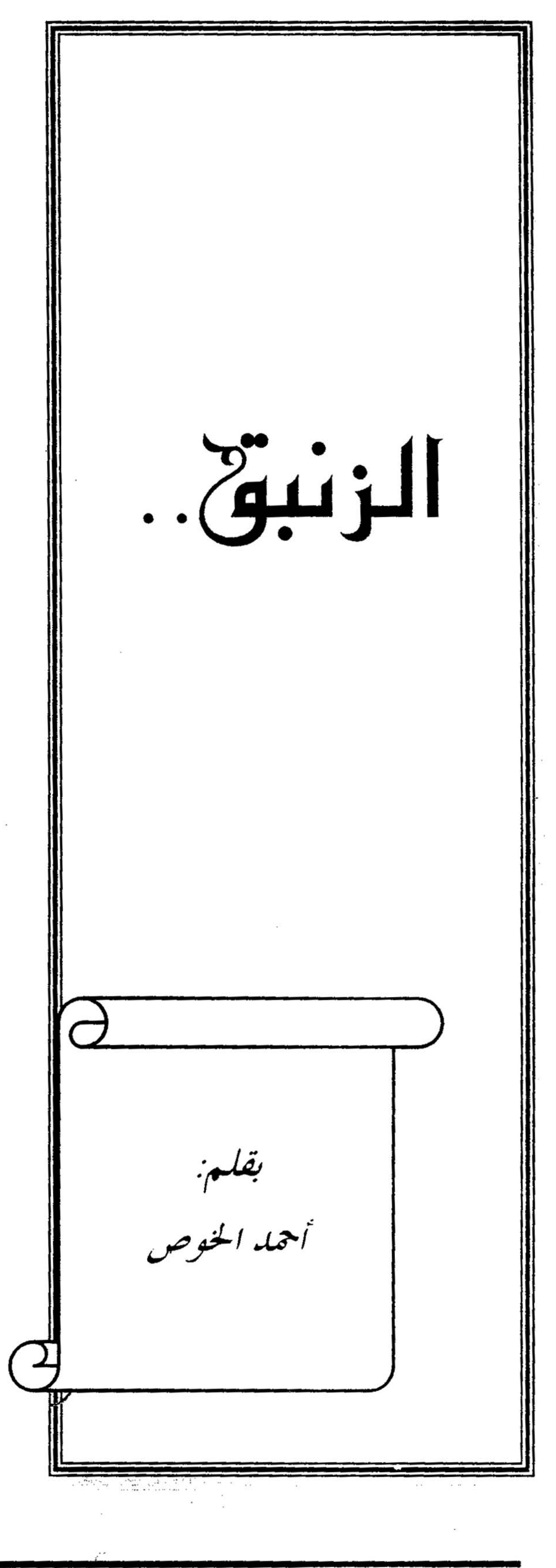



لم يترك الدهرُ فيه قيد أنملةٍ
إلاَّ وأغمد فيها السيفَ والإبرا
أشطاره في بقاع الأرض شاردةٌ
فكيف يحيا سليماً بعدما انشطرا
وكيف يقضي بقايا العمر مبتهجاً
والموت أصبح قرب الباب منتظرا

* * *

يا زينُ كنْ لي وريثاً صادقاً بطلاً
واحمِ الفضائل لا تخشى بها بشرا
فالله يحرس مَنْ كانت شمائله
أنقى وأطهرَ من نبعٍ صفا وجرا
ويفرش الدربَ بالنعمى لمن صدقوا
ولا يباركُ مَنْ جافا ومن غدرا
وليس يكبر في عين الزمان سوى
مَنْ غالب اليأسَ والحرمانَ وانتصرا
أدعو إلى اللهِ أن تحيا كما حَلُمَتْ
نفسي أبياً وتجني الخيرَ والظفَرا
فامضي على بركات الله مقتحماً
برج الثريا وكنْ في ساحها حَذرَا



تمثل زهرة الزنبق شعار الختم لموك فرنسا منذ أقدم العصور، فهي زهرة صغيرة ذات ثلاث أوراق تويجية حلوة، لذلك ظهرت على الختم الملكي في القرن السادس الميلادي، وهي أول زهرة للإمبراطورية الفرنسية، استعمل الملك هنري في عام ١٣٠١م زهرة مشابهة لها لوضعها على أختامه، وهذه الزهرة نفسها كانت تزين خاتم الملك سانت لويس، ولكن ليس معروفاً أصل هذه الزهرة هل هو من الشرق أم لا؟ لأن الملك يُلقب (ذو أزهار الزنبق) وكان الملك يحمل هذه الأزهار على لوحة جدارية تابعة للشرق ويرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف عام، وينتمي الزنبق إلى العائلة الزنبقية (LILIACEAE) أبصال الزنبق كمثرية الشكل وأوراق النبات طويلة خضراء داكنة وأزهاره ناصعة البياض وقد تكون مفردة أو متجمعة حول حاملها يبلغ طولها من ٨٠ – ١٠٠ سم وبين مقلتي الربيع كانت تسكن زنبقة رائعة الجمال متفنجة بين الأزهار لها بريق ساحر أخاذ يجذب الطيور وينثر العطر على الفراشات والزهور ففي كل يوم يأتي ساقي المحبة ويفتح باب الحديقة ويروي الغصن الشامخ ويدني دلوَهُ الذهبي ويسقي بماء الذهبَ تلك الزنبقة ويروي حديقته الجميلة شجرة شجرة وزهرة زهرة ثم يعود إلى غصنه الشامخ والذي يضم بين فروعه أزهاره اليانعة ووريقاته الخضراء اللامعة. ولقد كان لساقي المحبة والغصن الشامخ حكاية مع الدلال رواية مع العطاء اللا متناهي وللغنوج أيضا رواية بل هي أصل الرواية فمن يحكي يا ترى؟؟ أنت يا ساقي المحبة أم ترى الغصن الشامخ سيتحدث أيِ وريقات الشجر ويا نسيمات حبات عقد الندى هل من مجيب؟ بالله عليكم ما هو أصل قصة زهرة الزنبق؟ ها هي زهرة الزنبق مضطجعة على ذراعي الغصن الشامخ تلهو وتلعب مع الفل والورد والبنفسج وتنصت إلى زقزقات الطيور وتتأمل الفراشات وهي تداعب أوراق الشجر وتصافح بيديها الحانيتين قطرات الندى، وها هبت نسيمات المطر وانسدلت حباته اللؤلؤية، على زهرتنا الجميلة فيأتي الغصن الشامخ ويرفع ذراعيه الحانيتين ليحنو على

الزنبقة الرقيقة المدللة بأغصانها ويصنع لها وسادة من أوراق الشجر ثم تغط في نوم عميق حتى تداعب جفنيها شمس الفجر الذهبية وتستيقظ ثم ترى الساقي أمام عينيها ينتظر بكل سعادة ليرى ما تشاء وينفذ لها رغباتها:

ما بك يا زنبقتي الجميلة.

هكذا يقول ساقي المحبة، فتقول:

أرغب في شيء مما في دلوك الذهبي.

فيقول ساقي المحبة:

هو لك يا أميرتي خذي منه ما تشائين فما وُجدت هنا إلا لسعادتك.

فيسمع الغصن الشامخ هذا المقال فيقول بلسان الحال والمقال:

كفي عن دلال الزنبقة وانظري إلى باقي الأزهار.

فيقول:

لم أقصّرْ ولن أقصّر فخلوا بيني وبينها فسأظل أدللها وأغدق على وريقاتها حتى تتفتح وتكبر أمام عيني فيا نجمتي ويا صغيرتي سأذهب الآن فلتنامي قريرة العين ولا تخافي فها أنا بين يديك ورهن إشارتك.

إلى اللقاء يا ساقي المحبة ويا زهرة الزنبق فمع كل إشراقة شمس وكل نسمة هواء عليل لنا لقاء.

المعنى اللغوي

زنبق: الزنبق:

دهن الياسمين، وخصّصه الأزهري بالعراق قال: وأهل العراق يقولون لدهن الياسمين دهن الزنبق، وأنشد ابن بري لعمارة:

(ذو نمش لم يدّهن بالزنبق)

وقال الأعشى:

(له ما اشتهى راحٌ عتيق وزنبقُ)

التهذيب: أبو عمرو: الزنبق الزمارة. وقال أبو مالك: الزنبق المزمار، وأنشد للمعلوط:

وحنت بقاع الشام حتى كأنما
لأصواتها في منزل القوم زنبق

ابن الأعرابي: أم زنبق من كنى الخمر وهي الزرقاء ولقنديد. (١)

كما جاء في قاموس اللغة (المصباح المنير للفيومي) الزنبق: فنعل وزان جعفر يقال هو الياسمين (٢)

وجاء في معجم متن اللغة، الزنبق: دهن الياسمين: ورد أبيض معروف وهو الزنبق الشامي وكانت العرب تسمية السوسن الأبيض وسوسن اذاذ، ((قاله الشهابي)) (٣)

(١) لسان العرب الجزء (١٢) ص (١٠١)

(٢) قاموس اللغة للفيومي الجزء (٣) ص (٣٤٠)

(٣) معجم متن اللغة (٣) ص (٦٢)

زنبق: الزنبق: جنس نباتات عشبية بصلية من فصيلة الزنبقيات. سوقها وحيدة مستقيمة مورقة أوراقها القرصية والسوقية رمحية النصل مستطيلة. أزهارها كبيرة الحجم جميلة الشكل، فواحة العرف. متعددة الألوان الواحدة (زنبقة)(٤).

(٤) المعجم المدرسي ص (٤٦٤).

إن الزنبق رئيس لقافلة الورود حيثما وجيدت فالرماح السمراء تقاتل الأعداء والسيوف الحمراء تنزل بهم شر بلاء ويبقى الزنبق علما مرفوع الراية وهذا عبر عنه ابن معتوق الموسوي قائلا:

ريحانُهُ سمر الرماحِ وورده
حمرُ الصوارمِ والبنودُ الزنبق

عشقَ المكارمَ فاستهامَ فقلبهُ
وَلِعٌ بغير حسانها لا يعلق

ولَربَّ ملحمةٍ بلابل نضرها
تشدو و أغربةَ المنايا تنعق

عقدت عليها السابحات سحائبا
تهمي بوارقُها النجيعَ وتغدق

وهذا أبو الفضل الوليد، الشاعر المجيد والبطل الصنديد ذو الكلام الفريد يعتبر أن الزنبق ينمو ويكبر ويتكاثر فيصبح نجما يستضاء به كلما اشتدَّ الظلام وادلَهمَّ الليل فقال:

فتزين فيه وهو أخضر معشبٌ
زهر الهوى ينمو كزهر الزنبقِ

العيشُ في إشراقِ وجهك طيبُ
والموت أفضل منهُ إن لم يشرقِ
فارْني إليَ كنجمةٍ سامرتها
والنجمُ يطلع في الدجى كالفيلق

(١) البند: العلم الكبير

وهذا الشاعر المهجري الياس أبو شبكة يرسل آهات حزنه وآلاما صدمته إلى ابنته التي فقدها فأصبح قلبه مملوءاً بالعلل حيث قال متأسفاً على ما أصابه في هذه الفاجعة:

ثمرات الطهر مراشفه
وغصون الزنبق اذرعُهُ
والعين بحيرة أحلام
تتموجُ فيه أدمُعُهُ
لا أنسى ليلة أنشدني
لحناً والحبُ يوقّعهُ
والأفق سرير قد فرشت
فيه الأزهار تضوّعه

ولعلّ أنجح الطرق وأنجعها للشفاء من الأمراض هو الحب والغناء والموسيقى والابتعاد عن استغلال المستغلين وظلم الأقوياء معتبراً أن الزنبق أمير الورود هو أمير للسلام أيضاً لأنه كأس محبة لا كأس بغض فقال في مواكبه مشيراً إلى لذلك:

أعطني النَاي وغنّ
وانس ظلم الأقوياء
إنما الزنبق كأسٌ
للندى لا للدماء

وهذا سليمان الصولة يعتبر أن أم زنبق قد تجلت بجنة الزنبق وكؤوسها تحل فيها البنات الجميلات من بنات دمشق حيث الجمال والماء والشكل الحسن بقوله:

وتجلت بجنة الزنبق الغضْ
ض عروس المتيَمين أم الزنبقِ
في كؤوس كأنها حلل الغيـ
ـد على الغيد من كواعب جلقِ
بين زهر زهاً وغصن تثنى
ونسيم زكا وماءٍ ترقرق

اما سمعت إلى الحوار بين الورود المتنافسة على الجمال فالورد غار من الزنبق واعتبر أن جميع الورود تحت جناحي الورد السلطان المزعوم الذي يخافه الآخرون مما جعل الزنبق يمتعض ويطلب النجدة من الأزهار وقد صور ذلك صفيّ الدين الحلي بقوله:

قد نَشَر الزنبقُ أعلامه
وقال كُلُ الزهر في خدمتي
لو لم أكنْ في الحسنِ سلطانه
ما رفعت من دونهم رايتي
فقهقه الورد به هازئاً
وقال ما تحذر من سطوتي
وقال للسوسن ماذا الذي
يقوله الأشيب في حضرتي
وامتعض الزنبقُ في قوله
وقال للأزهار يا عصبتي

وما أجمل الزنبق! وما أروعه حيث القلب يولع به عندما يرى زنبقة الروض المنداة بالماء حيث يكون الجمال اللائق بها وهو يأسر النفس ويولع القلب يقول مصطفى الغلاييني:

أولعَ القلبُ بريّا الزنبق
مُذ رأى زنبقة الروّض الندية
تتهادى بالجمال المونق
ودلال يأسر النفس الأبية
لو رآها رَهبُ الدير التقي
طلق التقوى وعاف الأبوية

وهكذا نرى أن الماء إذا تدفق واللبلاب إذا تعمشق كالزنبق إذا جذّر واستوثق فيصبح الجو جميلاً أليق لكنه للزنبق أحلى وأليق وهذا ما لايراه إلا الإنسان الذي تدمشق.

الأديب

نويل عبد الأحد

١٩٣٩ – ٢٠٠٧

بقلم:
يوسف عبد الأحد

أديب ومترجم من الإنكليزية إلى العربية وبالعكس، ولد في مدينة بيت لحم بتاريخ ٣١/ ١/ ١٩٣٩ ونشأ في بيت علم وأدب وثقافة. فوالده صموئيل عبد الأحد كان معلماً في مدارس السريان في بيت لحم والقدس، ومراسلاً أدبياً لمجلة (الجامعة السريانية) التي كانت تصدر في بونس أيريس بالأرجنتين لمؤسسها فريد نزها، وشقيقه يوسف عبد الأحد.

تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في كلية (تراسانطا) أي الأرض المقدسة ونال شهادة الدبلوم عام ١٩٥٦ ثم تابع دراسته الجامعية بالمراسلة في جامعة لندن قسم الأدب الإنكليزي والترجمة ونال شهادة الثقافة العامة عام ١٩٥٩.

بعد تخرجه سافر إلى دمشق وعمل في مكتب سابا وشركاهم محاسبون قانونيون مدة خمس سنوات (١٩٥٦ – ١٩٦٠).

عاد إلى عمان – الأردن، وأسس مكتباً تجاريا وعمل في حقل التجارة، أحب الأدب ومال إلى الترجمة وانكبَّ على ترجمة بعض روائع شعراء الغرب ونشر العديد من ترجماته ومقالاته في مختلف الصحف والمجلات العربية في دمشق ولبنان والأردن والكويت منها مجلات الأديب والرسالة اللبنانية والدنيا والنقاد والإيمان والثقافة والضاد والأسبوع الأدبي وجريدة حمص.

كان باكورة أعماله ترجمة رباعيات الخيام عن الإنكليزية للشاعر الإنكليزي إدوارد فيتزجيرالد صدر عام ١٩٥٨، وقدم له شاعر الشام الكبير شفيق جبري (١٨٩٧ – ١٩٨٠)، جاء في كلمته:

"تعمت ساعة من الزمن بقراءة هذه الرباعيات فتركت في نفسي أثراً لا تتركه لو كنت صافي النفس هادئ البال مجرداً من كل اضطراب بعيداً عن كل ارتباك. ونشكر السيد نويل عبد الأحد الذي كلّف نفسه نقل هذه الرباعيات من اللغة الإنكليزية فلم يظهر في نقله أثر تعقيد ولا أثر تكلّف إنما هي أفكار منثورة صافية سهلة يدركها الذهن لأول وهلة دون شيء من الجهد".

أما عمله الثاني فقد قام بترجمة ديوان قداسة البابا يوحنا بولس الثاني وصدر عام ١٩٨١ في عمان الأردن ونشرت الأديبة جمانة طه دراسة عن الديوان في جريدة تشرين بتاريخ ٦ أيار ٢٠٠١ قالت:

"هذه هي أشعار قداسة البابا يوحنا بولس الثاني التي صدرت عن مشاعر نقية صادقة نبتت في فضاء ديني شعري متوحد ومتلازم. تتركز أفكار الديوان حول ثلاثة محاور هي الإنسان والحياة والعمل، فالبابا عمل في مقلع للحجارة أثناء دراسته الثانوية لذلك نراه مؤرقاً بظروف العمال وحياتهم القاسية ومشغولاً بالفساد الذي يستشري في العالم ويخرب نفوس البشر".

أما عمله الثالث فقد ترجم كتاب النبي لجبران بصياغة جديدة وصدر عن المؤسسة العربية للدراسات في عمان عام ١٩٩٣.

قال جبرا إبراهيم جبرا (١٩٢٠ – ١٩٩٤) عن الترجمة:

"نويل عبد الأحد من محبي جبران منذ سنين بعيدة ومن المتعلقين بكتاباته بالعربية أو الإنكليزية وهذا ما يجعله مرشحاً لإعادة النظر في النبي مجدداً. ويخيل إليَّ أن في ترجمة نويل عبد الأحد هذه من الروح الجبرانية ما لم أجده في أية ترجمة أخرى للكتاب وما ينم عمّا بين رؤية المترجم ورؤية جبران من توحّد نادراً ما يتحقق على هذا النحو المميّز بين كاتب ومترجم".

العمل الرابع قام بترجمة كتاب (كشف النقاب عن لغز الحياة والموت) للدكتورة سيلفي بيدو عن الإنكليزية إلى العربية وصدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان عام ٢٠٠٤. كتب المقدسة الأديب الدكتور عيسى بلاطه قال:

"إن الحياة لغز من الألغاز وتسلسل الأحداث فيها على كيفية خاصة تختلف من فرد إلىآخر هو سر من الأسرار وقد كتب الفلاسفة والمفكرون آلافاً مؤلفة من الكتب في هذا الموضوع منذ بداية بحث الإنسان عن غاية وجوده. والدكتورة سيلفي بيدو واحدة من هؤلاء الفلاسفة والمفكرين لها اطلاع واسع على علم النفس وتخصص في دراسة ما وراء الطبيعة".

وأخر ترجماته مجموعة شعرية (الرقص مع البوم) للكاتبة والروائية الأديبة غادة السمان ترجمها إلى اللغة الإنكليزية وكتب لها مقدمة باللغة الإنكليزية وهذه مقتطفات من المقدمة مترجمة إلى العربية:

"ليست وظيفة الشاعر أن يجرح عقل القارئ بدفق من دغدغات الفرح والبهجة فقط، بل والأهم من ذلك أن ينقل أحاسيسه وأفكاره وتجاربه الحياتية أو تجارب الآخرين الذين تفاعل معهم.. فقد كرست الأديبة غادة السمان جلّ حياتها ولا تزال عبر كتاباتها المنوعة".




سارت بجارح رمشها

شعر: عصام شعبان

سَـــارَتْ بِجَــارِحِ رَمْشِــها المُتَكَسِّــرِ
فَأضَــاءَ بَــدْرُ جَبِينهــا المُتَنَــوِّرِ

واسْــتَقْبلَتْ شَــمسَ الأصيلِ بِثَغْرِهــا
فَتقــابَلا بَــدْراً بِبَــدْرٍ مُزْهِــرِ

هَلَّــتْ بِمَبْسَــمِها البَهِــيِّ وأشْــرَقَتْ
عَــنْ ثغْــرِ ظبْــيٍ أوْ لــواحِظِ جُــؤْذُرِ

وسَــطتْ عَلــى عُشّــاقِها بِجَــوارِحِ
تُــدْمي القلوبَ كَمِثْــلِ طَعْــنِ السَّــمْهَرِ

في صَــدْرِها رَسَــمَ الهــلالُ مَــدارَهُ
سَــلْ جَفْنَهــا يُنْبِيــكَ أيــنَ المُشْــتري

رَنَّــتْ خَلاخِلــها ببــاطِنِ ســاقِها
فــاهتزَّ ناحِــلُ خَصْــرِها المتزَنِّــرِ

وَتطَوَّقَــتْ بِالجيــد سَــمْطَ قَلائِــدٍ
تَعْلــو علــى الــرِّدْفينِ خَــوفَ تَحَــدُّرِ

مُقَــلٌ تُحــاكي في المَهــاةِ حَوارَهــا
وسِــوادُ فَــرْعٍ مِثْــلُ حَظِّــي العــاثِرِ

وَحَواجِــبٌ شِــبْهُ الهــلالِ وكَلْكَــلٍ
تُبــدي بــهِ خَمْــرَ الرَّحِيــقِ المُسْــكِرِ







غَـــرّاءُ لا يُخْـــفِ الحِجــابُ بَريقَهــا
وكَأنّهـــا ذاتُ الحِجـــابِ المُسْـــفِرِ

مــا اهتــزَّتِ الأغْصــانُ هَــزَّةَ خَصْـرِها
إلاّ تَســاقَطَ مِنْهــا رَطْــبُ المُثْمِــرِ

وَتتيْــهُ شَــبهَ الــرِّئمِ في روضــاتِها
سَـلَبتْ قُلـوبَ العاشِـقينَ بِمسـحِرِ

مِــنْ أصْـعَبِ الأحـوالِ رُؤيَــةُ ظـامئٍ
رُمّــانَ نَهْــدٍ فيــهِ طَعْــمُ السُّــكَّرِ

قَــدْ حَــرَّمَ اللّــهُ الخُتــومِ ومــا نــرَى
تَحْلــو الجِنــانُ بِغَـيرِ هــذا الكَــوثرِ

يـــا عـــاذِلَيّ فلتَعْـــذُراني لا أرى
تبــدو الحِســانُ بِغَيْــرِ ذاكَ المَظهَــرِ

غُصْـــــنٌ تَثَنّـــى لا سِـــتارَ يَظُلُّـــهُ
وَالسِّـــحْرُ عِلّتُـــهُ افْتِتـــانُ النّـــاظِرِ

لَـيسَ الهَـوى وَصْـفُ الحَبِيـبِ وإنمــا
لَــثْمُ الشِّــفاهِ ورَشــفُ رِيــقِ العَنْبَــرِ

مــا كُنْــتُ أنْســى حيـنَ أسْفَرَ حُسْـنُها
نــارٌ ومــاءٌ تِلــكَ صُــنْعَةُ قــادرِ

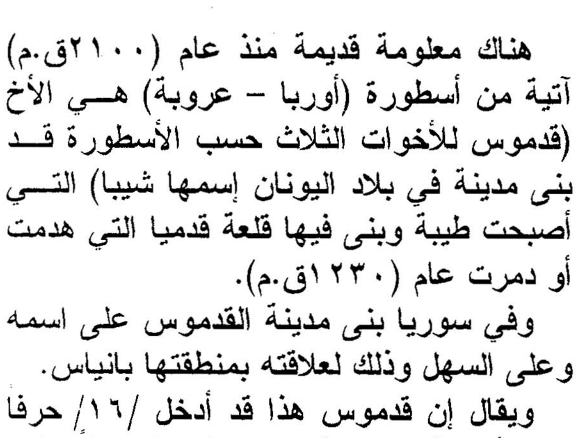
تُهْـدي لِشَـمسِ الكَـونِ صـورَةَ وَجْههـا
وتُعـيرُ بــدْرَ الحســنِ تــاجَ المرْمَــرِ

كَثــرَ الحَــديْث بِوَصْـفِها لمّــا بَــدَتْ
فالقَلْــبُ يصْــدُقُ والنَّــواظِرُ تَفْــتري




الحجارة القديمة في بناء لغتنا الكريمة

بقلم:
يوسف عبد النور المسعد



هناك معلومة قديمة منذ عام (٢١٠٠ق.م) آتية من أسطورة (أوربا – عروبة) هي الأخ (قدموس للأخوات الثلاث حسب الأسطورة قد بنى مدينة في بلاد اليونان إسمها شيبا) التي أصبحت طيبة وبنى فيها قلعة قدميا التي هدمت أو دمرت عام (١٢٣٠ق.م).

وفي سوريا بنى مدينة القدموس على اسمه وعلى السهل وذلك لعلاقته بمنطقتها بانياس.

ويقال إن قدموس هذا قد أدخل /١٦/ حرفاً من الأبجدية الفينيقية وكانت /٢٢/ حرفاً وذلك إلى الإغريق الذين كتبوها من اليمين إلى اليسار مثل الفينيقيين.. ذكرت ذلك لأننا نحن العرب نرد أصولنا إلى الفينيقية من الأقوام القديمة ومنهم إلى السامية.

إن أول شعب من الساميين استوطن بلادنا سوريا الكبرى هم الأموريون وهم من الفينيقيين وهم من الكنعانيين سلالة سام بن نوح وهي السلالة العاشرة بعد الطوفان الحاصل عام (٥٦٠٠ق.م).

وحمورابي الشهير بالشريعة من هذه السلالة الأمورية الذين اكتسحوا بابل ولذلك دعي حمورابي من الدولة البابلية الأولى.

وبعدهم حل في بلادنا الآراميون ولغتهم الآرامية أو (السريانية القديمة) وكانت أم الحروف التي توزعت منها على اللغات بل على اللهجات المذكورة في هذه الصورة بعد ذكر الآرامية، وهذه الآرامية هي أغنت اللغة العربية بكلمات أكثر من غيرها؛ ويقول أحد الباحثين المحققين إن العربية قد أخذت من اللغات /٧٥٩/ لفظة منها /٣٥٢/ من السريانية و/٤٠٧/ كلمات من الأكادية واليونانية والفارسية والعبرية، فكانت السريانية القديمة الأكثر عطاءً للعربية لأن هذه السريانية أي الآرامية بادئة الوجود منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد وانتشرت في بلادنا منذ القرن الخامس، ق.م. أما عندنا فقد تركت

أسماء القرى والمدن في الجهة الشمالية من سوريا لازالت تحمل أسماء سريانية.

ولازالت اللغة السريانية مستعملة في تركيا حول (طور عبدين) وفي العراق حول الموصل وفي سوريا أيضاً في ثلاث قرى هي في محافظة ريف دمشق: معلولا – بخعة – جبعدين، حتى اليوم.

قام الخليفة الأموي عبد الملك (٦٨٥ – ٧٠٥م) بإصدار أمره بتعريب أسماء المدن والقرى وتثبيتها في السجل العقاري ولكن القسم الأكبر مازال يحتفظ بالاسم السرياني وظلت السريانية مستعملة حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي وقد عمت اللغة العربية كل البلاد العربية في القرن السابع عشر. وما يثبت أن اللغة الآرامية كانت شاملة للبلاد العربية هو أن التلمود اليهودي البابلي كتب بالآرامية الشرقية (الكلدانية) التي كانت منتشرة في العراق حيث كان للآرامية عدة لهجات، ترجع إلى ينبوع واحد هو الآرامية التي عاشت في بلادنا من (٥٠٠ق.م إلى ٧٠٠م).

ولنعود لتاريخ اللغة العربية فقد ظهرت في البلاد التي تمتد بين البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج العربي (الفارسي سابقاً) وبخط وهمي يتجه شرقاً من رأس خليج العقبة حتى الفرات وتسمى هذه البلاد شبه جزيرة العرب أو للتوسع تسمى الجزيرة العربية.

والعرب من الشعوب السامية كما قلنا وبلادهم المذكورة أكثرها صحارى جافة، وكان العرب حضراً في الجنوب – اليمن وما حولها – ولديهم بداية الحضارة العربية منذ القرن التاسع الميلادي وهم القحطانيون ومنهم ممالك حمير وكهلان وغيرهما.

أما في الشمال فهم البدو المستعربون ومنهم العدنانيون ومنهم مضر وربيعة وكانوا يعيشون على النخيل وتربية المواشي كالغنم والجمال المفيدة في تنقلاتهم.

أما في البحرين فقد كانوا يعيشون من التمر وصيد اللؤلؤ.

طبعاً تغيرت الحياة اليوم لدى الجميع بسبب موارد البترول والسير في ركب الحضارة العالمي.

وبما أنه لا يمكن فصل اللغة عن التاريخ كونها وعاء مفاهيمه نقول:

صحيح أنه عند اقتسام إمبراطورية اليونان بعد وفاة إسكندر المقدوني عام (٣٢٣ق.م) بين قواده الأربعة أن القائد سلوقس نيكاتور الذي أخذ حصته من الإمبراطورية فكانت بلاد الشام وأسَّسَ ملكاً عظيماً في دمشق ودولة قوية دامت حتى عام (٦٤ق.م) حين جاء القائد الروماني (بومبي) واحتل البلاد. ففي فترة الحكم اليوناني المستمر من سلوقس كانت اللغة الرسمية للبلاد هي اليونانية لأنها جاءت مع القائد سلوقس نيكتور عام /٣٢٣/ عند اقتسام الإمبراطورية ولكن اللغة العامة كانت في الشعب هي الآرامية.

في عام (١٩٥٠م) نشرت مجلة المجمع العلمي العربي بحثاً نفيساً قدمه مطران السريان الأرثوذكس بولص بهنام جمع فيه بين اللغتين العربية والسريانية وعلاقاتهما الجوهرية إذ سماهما (غصنان لأرومة واحدة) أفادت كل منهما الأخرى بما تحتاج من المفردات بشكل كبير؛ وقد سمى اللغة العربية لغة البلاغة والمهارة الفنية بتوارد المفردات المترادفة ولكل مرادفة معناها الخاص بها.

لقد حلّت العربية في مصر محل القبطية منذ القرن السادس عشر أما في بلاد الشام فقد صارت اللغة العربية فيها مع نهاية القرن الثالث عشر وعمّت البلاد العربية بعد الآرامية والسريانية واليونانية والعبرية وصار للقرآن الكريم دور ترسيخ قواعد العربية في النفوس

والمحافظة على سلامتها خلال طريق التغيير مع التاريخ.

أما عن المجمع العلمي العربي فلا بد من ذكر تأسيسه في ذكر اللغة العربية لما له فيها من أياد بيض بدوره في المحافظة عليها منذ زوال العثمانيين وبعد محاولاتهم تتريك العرب ولغتهم العربية ليتم لهم القضاء على القومية العربية نهائياً.

ففي العهد الفيصلي اجتمع مع الملك فيصل خمسة علماء منهم محمد كرد علي وعيسى إسكندر المعلوف وآخرون سوف أذكر أسماءهم في آخر البحث وكان ذلك عام (١٩١٩م) وطلب الملك فيصل منهم طلباً أجابه لذلك عيسى المعلوف ببيتين من الشعر مما سر الفيصل وقال للمعلوف كلمة بمعنى أحسنت وتابع الفيصل: ماذا تريد يا معلوف؟! وقال عيسى المعلوف أطلب أن تنشئ مجمعاً علمياً عربياً بدمشق. فوافق الملك وتم تأسيس المجمع العلمي العربي برئاسة السيد محمد كرد علي وسمي المجمع (رئيس ديوان المعارف) وتحول هذا الاسم إلى اسم (مجمع اللغة العربية) وأصدر مجلة باسم مجلة المجمع العلمي العربي وصارت مجلة مجمع اللغة العربية والتي تصدر حتى الآن وقد كانت الواسطة بين المجمع وباقي دوائر الدولة لتحويل الكتابات الرسمية من اللغة التركية إلى اللغة العربية، وقد زار أولاد عيسى المعلوف مقر المجمع العلمي العربي بدمشق في المدرسة العادلية واستقبلهم القيّم عليه وقال لهم: والدكم صاحب الفضل بتأسيس هذا المجمع رحمه الله.

أما المرحوم السيد محمد كرد علي فقد توفي بدمشق ودفن في مقبرة الباب الصغير عام (١٩٥٣م) بمحفل كبير من سوريا وأقطار عربية أخرى ويرئسه اليوم الدكتور مروان المحاسني. ومن حسنات هذا المجمع أنه حافظ على اللغة العربية وآدابها وتلقين أصول البحث للدارسين وفق الطرق الحديثة في الدرس والتأليف؛ وفيما بعد ضم المجمع طائفة من العلماء والأدباء من جميع الأقطار العربية ومن كبار المستشرقين وقام بأعمال مشكورة منها وضع بعض المصطلحات العلمية الحديثة وإصلاح لغة الدواوين وتصحيح الأخطاء الشائعة في كلام الكتاب والشعراء وذلك بواسطة مجلته التي ينشر فيها دراساته ولاسيما اللغوية والأدبية بالإضافة لمراسلات الدوائر الرسمية.

وكانت قد أنشئت المكتبة الظاهرية عام (١٨٧٨م). أما في مصر فقد تأسس مجمع علمي عربي عام (١٩٣٤م).

وقد مرّ على أبحاث اللغة العربية عدد من العلماء الذين بحثوا فقه اللغة (الفيلولوجيا) منهم أبو الفتح عثمان بن جني صاحب كتاب (الخصائص) وأحمد بن فارس مؤلف كتاب (الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها) وابن سيدة صاحب (المخصص) وجلال الدين السيوطي صاحب (المزهر) والدكتور منير بعلبكي صاحب موسوعة (المورد).

وأول من بحث من السريان في علم فقه اللغة (الفيلولوجيا) هو البطريرك أفرام الأول برصوم /١٩٥٧+/ بكتابه (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية) الذي احتوى على دراسة وتحقيق دقيق من تاريخ لغتنا العربية. ولا أنسى ذكر الأستاذ زكي الأرسوزي الذي ألف كتابي (المدنية والثقافة - اللغة والفن) تحدث فيهما عن مخارج الكلمة لدى ناطق العربية وكأنه يوحّد بين معنى اللفظة العربية وصورة خروجها من الفم عند نطقها. رحمه الله.

الآن أسرد لكم موضوعاً كتبه الدكتور هاني نصري وأبحث بعده مستقبل اللغة العربية ولولا خشيتي من إطالة البحث عليكم لأدرجت لكم

مئة كلمة عربية فصحى وغير مستعملة في أيامنا هذه كنموذج لكثير غيرها.

كتب الدكتور هاني نصري عن اللغة العربية في العدد الصادر في (١٥/ ٢/ ١٩٩٢م) في مجلة الثقافة حول العربية ومترادفاتها وأعتقد أنه كان ينتقد كاتباً يرفع شأن العربية ويفتخر بها بموضوع سابق وأنا أوافقه لأننا لا نستطيع جمع الخطأ والصواب المتناقضين في موقع واحد ولقد أدرجت مقاله كاملاً كما يلي:

لمحاربة الغرور والكسل والخطأ للغويين العرب (لا حرب اللغة ذاتها) إن التعبير في لغتنا أفضل أو بما لا يتوفر في اللغات الأخرى من كثرة المترادفات، ولكن هذا لم يثبت الأفضلية عندما رأينا أن التقدم الأوروبي حتى في مجال الأدب رائد لنا ونقلّد ونتعلم منهم.. وهذا قد يعود لأن البيئة التي يعيشون فيها بعدة لغات متشابهة أو لأنهم ربّوا أجيالهم على طريقة اللغة كما هي فقد تعلموا أن يفهموا كما تعبر لغتهم دون حرج أو ضيق لأن ذلك منذ ولادتهم.

ثانياً في لغة القرآن فكرة تنفر الإسلام أصحاب اللغات الأخرى لأنهم يرون بذلك تفضيلاً للعرب على غيرهم أمراً يدعو للنفور كما ننفر اليوم من تفضيل بني إسرائيل على العالمين (قرآن) ومن تفضيل لغاتهم القديمة التي أوحي فيها كما يقول في القرآن ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾ وهنا يقصد اليهودية والمسيحية. فإنه بذلك يفضل أيضاً لأصحاب اللغات التي كتبت بها الكتب المقدسة الأولى فيها هذه مساواة اللغات جميعاً عند الله. ثم يذكر تعداد المعطيات فلماذا هذا الذكر؟ ألأنه يذكر بأن المعطيات غالبيتها من المدنية الغربية ونحتاج كل يوم لاجتماع مجمع اللغة العربية ليجد كلمة تناسب (الشاطر والمشطور والكامخ بينهما) في كافة مجالات الحضارة الإنسانية؟!

وعندما ينتقد العوام لقوله: يذهبون إلى تغيير معنى المترادف الأصلي وإعطائه دلالات جديدة قد تعني عكس معناه!! يجب أن يكون الشاهد عربياً وليس الفيلسوف (بيكون) لأن ذلك يغني بلاده ولغاتهم وليس العرب؛ وأما العرب فهم بحاجة إلى مجمع لغة عربية أو فيلسوف عربي يقول الحقيقة عن اللغة العربية وليس عن اللاتينيات.

ومن هنا نرى سيئة في كثرة المترادفات حيث يستعمل بعض الناس مترادفاً غير مناسب ويضيع العامة في هذا السبيل. ونحن بحاجة العودة إلى الفصحى - إلى هنا انتهى كلام الدكتور نصري - وإني وإن وافقته على ما كتب فأستثني الموافقة على سوء كثرة المترادفات فهي تعطي دقة المعنى أكثر وذلك عندما نرجع إلى الفصحى.

ودون الرجوع إلى الفصحى نحول لغتنا إلى سيف ذي حدين تعطينا الدقة في المترادفات وتعطينا الخطأ في نظر القراء المفسرين المترادف في غير محله. ولذلك نرى نقد الدكتور نصري للإصلاح وإن لم نقلع جذور الخطأ لكل أمور حياتنا وإن لم نمسح الغلط فلا نستطيع أن نكتب في محله الصواب وبجرأة لنسلك طريق الوصول إلى حياة العصر والتقدم الحضاري الصحيح.

ألمح الآن إلى أن العربية وسعة مترادفاتها تعود لتعداد القبائل العربية الكثيرة وحيث أنه كان لكل قبيلة لهجة من العربية ولكل قبيلة أسلوب لنطقها بلهجتها، فعند جمع اللغة العربية من مصادرها المتكلمة بها اجتمعت هذه اللهجات فكانت لكل كلمة عدة لفظات من الأسماء والمعاني واعتبرت هذه اللفظات جميعا من أصول اللغة العربية وهذا ما سبب كثرة المترادفات والمصطلحات وبالرغم من أن أكثر هذه المترادفات تحدد المعنى المقصود بدقة فقد استعمل العرب من هذه المترادفات والأسماء

بعضاً وترك الباقي.. وكما قلت لكم لولا خوفي من الإطالة عليكم لذكرت لكم الآن ما يقارب المئة كلمة غير مستعملة حتى ولا في المراسلات فإذا قالوا/: أن للأسد خمسمئة اسم فمن يعرف كل هذه الأسماء؟! فمن يقول سبع ويعرف الجميع أنه الأسد بحال انتصاره ومن يقول الغضنفر ويتصور الناس جميعاً أنه يقصد الأسد في هيبته وشبل في صغره ومن يسميه الهرماس ويعرف الناس أنه في ضعفه ومرضه؟ ومن هنا يختلط المعنى على العوام وهذا من ملاحظات الدكتور نصري غير أن الكاتب ودارس اللغة يعرف المقصود هذا إذا لم يكن مسطر الحروف غير عارف بهذه الفوارق بين المترادفات وهل نلوم القارئ بهذه الحالة؟!

أفكار في مستقبل اللغة العربية:

تأخذ اللغة عن الأمة صفاتها وتاريخها ووعاء أمجادها السالفة ومستودع أحلامها الآتية والتي تحمل مفاتيح مستودعاتها هذه المستودعات هي عبقرية أبنائها بأقلامهم وألسنتهم وإذا توقفت قوة الابتكار توقفت اللغة عن سيرها، وفي الوقوف معنى التقهقر وهذا بدوره يؤدي إلى الاندثار. ومن هنا نرى أن مستقبل اللغة مرهون بإنتاج الأفكار المبدعة.

وكان حول اللغة العربية شقيقتان هما السريانية والعبرانية نخشى أن يكون مستقبلها كمستقبلهما المتقهقر بعد توسعه والباهت بعد لمعانه في العصور السالفة.

تعلمون أيها الأخوة إن السريانية القديمة هي الآرامية وكم كان للآرامية من امتداد على الزمان والمكان في التاريخ. لذلك نتمنى من الله أن يوفر المبدعين في أقطارنا العربية لتزدهر لغتنا وتتقدم فتشمل كل معنى حديث في العلوم المختلفة وكل اسم آلة من الاختراعات الكثيرة في هذا الزمان.

وإذا تساءلنا عن مصادر الابتكار فنجدها شوقاً في نفوس أصحاب الغيرة من محبي اللغة العربية ومن أبنائها الميامين لمواكبة التطور في مسالك الحياة وما يتجدد وما يجِد فيها.

نعم لقد كان نوابغ العربية سابقا في تطور شعري وفلسفي حتى ولو كان شعراؤها في زمن الانحدار يعيشون من بعض قريض أشعارهم المادحة، ويا للحزن الطويل ظل الزمان المنحدر يسير حتى وصل ليله الحالك في ظلام القرون الذي ضمّ حضارتنا العربية في كل أقطارها خلال القرون الأربعة العثمانية حين أمسى الكلام مرصودا والنبع مسدوداً والعلم مفقوداً ولا أملا موعوداً ونامت عيون أمتنا عن يقظتها وصار فيلسوفها وشاعرها وفلكيها يلبسون ثوب السواد ولا يعرف واحدهم الآخر حتى صار الشاعر ناظم حروف والفيلسوف ناطقاً بلا معنى والفلكي منجما ليعيش من أفكار غير صادقة إلا في عيون البسطاء الحالمين بالرغيف والرداء.

طبعاً ولا شك أنه لا بد أن يستيقظ العقل العربي بعد النوم الطويل ويدرك الحاجات اللازمة من التوسع لطاقة النور العلمي والعملي ولأجل أن تعكس أمتنا مرآتها القديمة من الآداب التي أخذت تبزغ في سمائها واستمر ذلك بعد جلاء الأتراك.

ولا ننكر أن هناك دوراً للتأثير الأوروبي من روحه الغربية في كتبنا العربية ووعي أبنائنا في العلاقات والدراسة فكانوا سبباً لأخذ نور من الحياة الجديدة في العالم الغربي لنبني في الكيان العربي مفاهيمَ وقواعد ونطرح كل غث ونتطلع لنهضة عربية عارمة.

لا بد أن نستعين بحاجات من موارد غربية (لا سيما وأن هذه الموارد تحمل السم في الدسم) بطريقة هي الغاية المبرّرة بالوسيلة وبغيرها من حجج سياسية واقتصادية للاستعمار بأشكال مختلفة.

وما نطلبه من الله ان لا نكون ملزمين لنصير مقلدين وتابعين أن موقف الغربيين منا يفسر محبة وعداوة؛ محبة عندما نستفيد منه وعداوة إذا صارت أمورنا تابعة لهم بل لما يوافقهم وهو كثير وطلباتهم متشعبة بين السياسة والاقتصاد لتكون المزرعة والسوق التجاري الذي يختصمون عليه بين بعضهم ويبحثون عن المنجم وما إلى ذلك من لواحق أخرى، يساعدهم بذلك ضعفنا وتفرقتنا وحاجاتنا لهم وهذه الحاجات دائمة بدوام الحواجز بين أقطارنا العربية ولا نعمل على كفاية بعضنا بما هو متوفر عندنا من هذه الحاجات كما استغل بنو عثمان نقطة الضعف بيننا التي هي الدين الذي استغلوه لجذب العاطفة العربية باسم الإسلام حتى أن سلطانهم الذي أمعن في المغشة فسمى نفسه خليفة وهم من الجهة الأخرى يستغلون أرضنا وخيرنا من جميع الوجوه. استغلوا الدين بطريقة سياسة (فرق تسد) وبحجب نور التعليم وما هو محزن جداً عندما نتذكر أوضاعنا مع اغتصاب أرض الوطن العربي من الجهات الأربعة كما تعرفون.

إخوتي كان هذا التفكر في التاريخ ليدفعنا فنستيقظ ونبحث عن أسباب الظلام فنزيلها ونقيم المنائر بدلا عنها ونسير حسب قول المثل (أشعل شمعة واحدة خير من أن تلعن الظلام ألف مرة) ومن نظرتنا إلى الماضي وما أخذناه من الغرب بعد استقلال أقطارنا نجد أنه الفائدة المشروطة بالذل.

أفادونا مرة بالعلوم وضرّونا مرة أخرى عندما اكتسب كل طالب سوري بل عربي يدرس في دولة منهم وأخذ عنها طريقة تفكيرهم وحلم أن يطبقها بعودته لبلده فيدخل الأسلوب الفكري الأجنبي لمجتمعاتنا فيحصل الخطأ مرتين، مرة بأسلوب التفكير ومرة أخرى بتفرقة الأساليب لدينا ومن السيئ نقل عادات غريبة لا توافقنا فردا وأسرة ومجتمعاً، وما نتمناه هو أن يظل كل طالب ابن وطنه بتفكيره وأسلوبه بروحه وجسده ابناً لوطن واحد وليس كغريب ثم قريب.

ولنا كبير الأمل عندما تصبح جامعاتنا مصدر النور الموحد الذي يشع بلونه الزاهي في كل النفوس العربية لتتوحد بأهدافها ولو مرّ زمن وزمن وزمن أما بين الفصحى والعامية فالمستقبل غالباً ما يثبت وجودهما ولكن الفصحى هي الحاضن الأمين للمعاني من أي مصدر كان إن من الماضي المتطوّر والمتغيّر أو من البعيد الآتي المترجم ولو بقي لكل قطر لهجاته العامية المحلية فلا بد أن يبقى الفصيح صاحب الثقة بحمل المعنى الصحيح وكأني أرى مبدأ تنازع البقاء وبقاء الأفضل له دور التطبيق على المتنازعين العامي والفصيح. ولا يخشى من العامية مادام الفصيح هو الحكم الأخير إذا لزم الأمر في المواثيق الرسمية ولما ينقل لغير العربية. علماً أن كل علم خاضع لمفاعيل الزمن ومما يرجع إلى اللغة من القديم من الشعر الفصيح والشعر المغنّى والشعر الزجلي وما حوى الفلكلور الشعبي فأرى أن المصير كما يلي بحلاوة هذا الرجوع.

فالفصيح هو القمة الثابتة والمغنى الذي يحوي المعنيين العقلي والعاطفي فهو جميل جداً ولو كان بالعامية، إنه رنة مطربة تطن في آذان الاختيار مستحباً لأن فيه نغمة التذكار ولأنه كما يحس تلبية لرغبة في نفسه وعاطفية قبل أن تكون عقلية ولغوية فدوام هذا المغنّى من الشعر ثابت ولا شك ومطلوب ومرغوب والزجل هو الوجه الآخر لهذه العملة الذهبيّة البرّاقة وهو التعبير الناطق بلسان الفلكلور الشعبي لكل الأجيال.

من جماليات لغتنا العربية:

لا ننسى ما هو زهرات في حقل آداب اللغة العربية من الجناس والطباق والتورية والسجع

والاستعارة والإستعارة المكنية وما في مقاماتها اللاذعة من جمال النكهة غير الموجودة في اللغات الأخرى.

وقد يكون ما هو من اختصاص اللغويين المتأدبين ولا ضير من ذكر ما قال ابن خلدون من اختيار منابع الأدب الأربعة حسب قوله التالي:

سمعنا من شيوخنا في مجالس الدرس أن أمهات الكتب في أصول الأدب أربعة هي:

١ - البيان والتبيين للجاحظ.
٢ - أدب الكاتب لابن قتيبة.
٣ - الكامل للمبرد.
٤ - الأمالي لابن علي القالي،

وما سواها فهو تابع لها وفروع منها.

ولا ننسى أن مفاعيل الزمن في التطور الفكري وغيره سائرة للأحسن والحمد لله وإذا عدنا لما بين العامة والفصحى لنذكر أن العامية تحتمل التقدم لتصبح في الفصحى، إن كان ذلك كلمات أو جمل؛ فكثيراً ما نسمع ونشاهد في وسائل الإعلام إن مجمع اللغة العربية في مصر (مثلاً) أجاز استعمال كلمة كذا كذا من العامية أن تقبل في الفصحى، وكذلك في المجامع العربية الأخرى فإن استعمال الأكثرية من الناس الكتاب لكلمة عامية يجيز تثبيتها بالفصحى؛ فإن هيئة الأمم المتحدة أبدلت اللغة العالمية الفرنسية باللغة الإنكليزية عام (١٩٥٦م) لتعتبر الإنكليزية هي العالمية الأولى استناداً إلى أن المتكلمين بها في العالم أكثر عدداً من المتكلمين بالفرنسية، طبعاً ولو كان لبعض المنظمات استعمال لغات حسب الحاجة. وصار للغتنا العربية دور بإحدى هذه المنظمات لاستعمالها.

لقد وعدتكم بذكر أسماء أعضاء المجمع العلمي العربي في زمن تأسيسه فهم:

محمد كرد علي - أمين سويد - أنيس سلوم - سعيد الكرمي - عبد القادر المغربي - عيسى إسكندر المعلوف - متري قندلفت - عز الدين نجم الدين - وانضم إليهم الشيخ طاهر الجزائري بعد عودته من مصر في تشرين الأولى (١٩١٩م).

صادفت أثناء القراءة رأياً للفيلسوف اللبناني مارون عبود حول اللغة العربية وقرأت هذا الرأي فوجدت أنه يوافق ما كتب في هذا البحث بما فيها من الماضي وبما فيه من اقتراحات للمستقبل لأجل نمو اللغة وتقدمها وحتى أنه يوافق أيضاً أقوال الدكتور هاني نصري الواردة في هذا البحث نقداً واقتراحا.

وإليكم باختصار رأي مارون عبود كما ورد في كتابه (أدب العرب) المطبوع في دار الثقافة ببيروت عام (١٩٦٠م):

القحطانيون أو اليمنيون: أهل الجنوب عاشوا متحضرين.

العدنانيون أو النزاريون أو المعديون: أهل الشمال غلبت عليهم البداوة.

لغة اليمنيين كانت تخالف لغة الحجاز وضعا وتصريفاً، وهي أكثر اتصالاً باللغة الأكادية والحبشية، أما لغة الحجاز فأكثر اتصالا بالعبرية والنبطية.

أما رقي هذين الشعبين فاختلف تبعا للحضارة واللغة والاختلاط بالشعوب.

ويقول عبود أن العربية كانت في بدء عهدها فرعين عظيمين: لغة مضر ولغة حمير، وكانت بينهما فروق كما ذكرنا عن لغة القحطانيين والعدنانيين أما اللهجات فتعددت إلى حد عظيم، بيد أنه مع توالي الأيام والعصور صرعت لهجة قريش لهجات الجزيرة العربية كلها لأسباب ستأتي.

لغة الأدب (الشعر والنثر) ولغة الدين (القرآن) ولغة السياسة والإدارة والحضارة والعلم الجديد.

لقد كان العرب والسريان والعبران في الجزيرة يتفاهمون بلا ترجمان ولكن تطور

اللغة العربية بتطور قومها أبعدها عن أخواتها، فاللغة كائن ينمو ويتكاثر فكلما وجد الأعراب خلقت الألفاظ.

واللغة تسود بسيادة قومها وتنمو برقيهم فلذلك لم يبق رابطة تربطها بأختيها غير ألفاظ تختلف لهجة يعرفها المطلعون على هذه اللغات الثلاث، ومنها يعرفون أن هذه اللغات من مقلع واحد.

ولكن انصهار اللغة وما يشاركها حولها في بوتقة واحدة بعد الفتح الإسلامي وطبعت بطابعهم لغة خاصة لهم وأخذوا منها كل ما احتاجوا إليه فاتسع نطاق لغتهم أيما اتساع.

وأهم أسباب النمو هو المجاز والاشتقاق والإبدال والنحت والقلب والتعريب، وأدرج لكم التفصيل:

١- المجاز أو التجوز: وهو أوسع أبواب اللغة فمنه تثري اللغة إلى ما لا حدّ له ومن شروطه وجود العلاقة بين المعنى والكلمة التي نقلت إليه ويكون المجاز في المفرد والجملة.

٢- الاشتقاق: هو من ميزات اللغة العربية وبه تتناسل إلى حد بعيد، فبنقلك اللفظة من صيغة إلى صيغة تنقلها من معنى إلى آخر فتستغني غالباً بكلمة عن جملة كقولك: استكتبت فلاناً أي طلبت إليه أن يكون كاتباً لي.

٣- الإبدال: وهو إبدال حرف بحرف من لفظة فتكونان بمعنى واحد وللإبدال أسباب منها استثقال بعض الحروف عند بعض الناس فأبدلوها بأخف منها، وللإبدال أثر كبير في اللغة نعثر عليه في أكثر كلماتها إن لم نقل كلها، وإليك المثل: أتملس – أتملص – أتلمز أي أتخلص، لصق – لسق – لزق، البصاق – البساق – البزاق.

٤- القلب: وهو تقديم أو تأخير حرف في اللفظة بشرط أن لا تتبدل الحروف كقولك: فطس – طفس، يتسكع – يتكسع، أوباش – أوشاب.

٥- النحت: ويقصد به الإيجاز، والإيجاز بغية العربي ومطلبه في كل شؤونه حتى اللغة. لباسه وجيز وبيته وجيز وهو أن تصوغ كلمة تدل على كلمات كقولهم: بسمل – كبر، ويكون النحت بالفعل نحن سمعل (قال السلام عليكم) وبالوصف نحو صلدم للحافر الشديد من الصلب الصدم، وبالاسم نحو جلمود من جلد وجمد، وبالنسبة نحو مرقسي (من سلالة امرؤ القيس).

٦- التعريب: وهو نقل الكلمة الأعجمية على نهج العرب وأسلوبهم، فالحاجة إلى التعريب ماسة دائماً في كل مكان وزمان. وقد لجأ إليها العرب في كل أطوارهم ولم يأنفوا من الالتجاء إليها كما نأنف نحن اليوم.

وفي اللغة ألفاظ لا تعد كلها أعجمية معربة وفي القرآن الكريم مئة كلمة منها.

خصائص لغة العرب:

للغة العربية خصائص في إفهام المعاني ليست لغيرها من اللغات، منها:

١- الإيجاز وهو وليد الاشتقاق والنحت.

٢- جمال التعبير الذي تتولد منه معاني فرعية عديدة تفقد رونقها وجمالها الفني إذا ترجمت.

٣- الإعراب الذي يعرف به الخبر من الإنشاء (مثال: من أغنية يا جارة الوادي) بجملة: وخاطبت عيني في لغة الهوى عيناك.

٤- الحركات: مَفتح ومِفتح: مِفتح للآلة ومَفْتح لموضع الفتح.

٥- ترك التأنيث: مثل السيدة الوزير – سيدة طاهر، حيث لا يشارك المذكر المؤنث في الصفة.

٦- مخالفة الظاهر: كقولهم قاتله الله.. إلخ.

٧- الزيادة: صه - صهن ضيف ضيفن رعشن، إلخ.

٨- الاختصار: كقولهم: أثعلباً وتفر.

٩- ورود ألفاظ كثيرة بمعنى واحد يلجأ إليها الألثغ ليكتم لثغته مثل: راية - غاية (للعلم) رمازة - غمازة (للفتاة) بريئة - برية (الخليقة)

وخاصة أخيرة للغتنا أنها كثيرة الحروف وأغلبها يتصل بما حوله في الكتابة.

سرّني ما سمعت في التلفاز يوم (٣٠/ ٩/ ٢٠٠٤م) حول تقدم اللغة العربية في مقابلة مع معاون رئيس مجمع اللغة العربية د. إحسان النص وعضو المجمع شحادة الخوري من أنه جرى وضع /٤٠٠٠٠/ أربعين ألف كلمة بين عامي (١٩٨٤ - ١٩٩٤م) فيما يخص المصطلحات الطبية و/١٤٠٠٠/ أربعة عشر ألف كلمة في باقي حاجات اللغة، طبعاً ذلك بواسطة الإصطلاحات والاشتقاقات والنحت والتعريب والمجاز.

وأضفت بعض المعلومات منها:

اخترعت الكتابة في التاريخ بين عامي /٣٥٠٠ق.م و ٣٢٠٠ق.م/

عائلات اللغات حسب ورودها في تاريخ العصور القديمة /ق.م/:

١- اللغات الآرية أي اللغة الهندية الأوروبية: وهي تشمل الإنكليزية - الفرنسية - الألمانية - الطليانية - اليونانية - الروسية - الأرمنية - الفارسيّة - الهنديّة.

٢- اللغات السامية: وتشمل العربية - العبريّة - الفينيقية - الآشورية - الآرامية - الأكادية لغة وكتابة.

٣- اللغات الحامية: وتشمل القبطية - المصرية القديمة (فراعنة) - البربرية جميع لغات أفريقية.

٤- اللغات الطورانية: التركية والمجرية والغينية والمغوليّة.

٥- اللغات الصينية: أي لغات أهل الصين وبورما وسيام والتيبت.

كلمة أخيرة:

نمت لغتنا العربية قديماً وأثّرت للأدب، أما اليوم فموقفنا جامد والجمود يعني الموت.

توقفنا عن متابعة الإيجاز والاشتقاق (مثال شفهي من معهد الأندلس ليلاً عام (١٩٥٦م) - التزمير واستعمال الزمور).

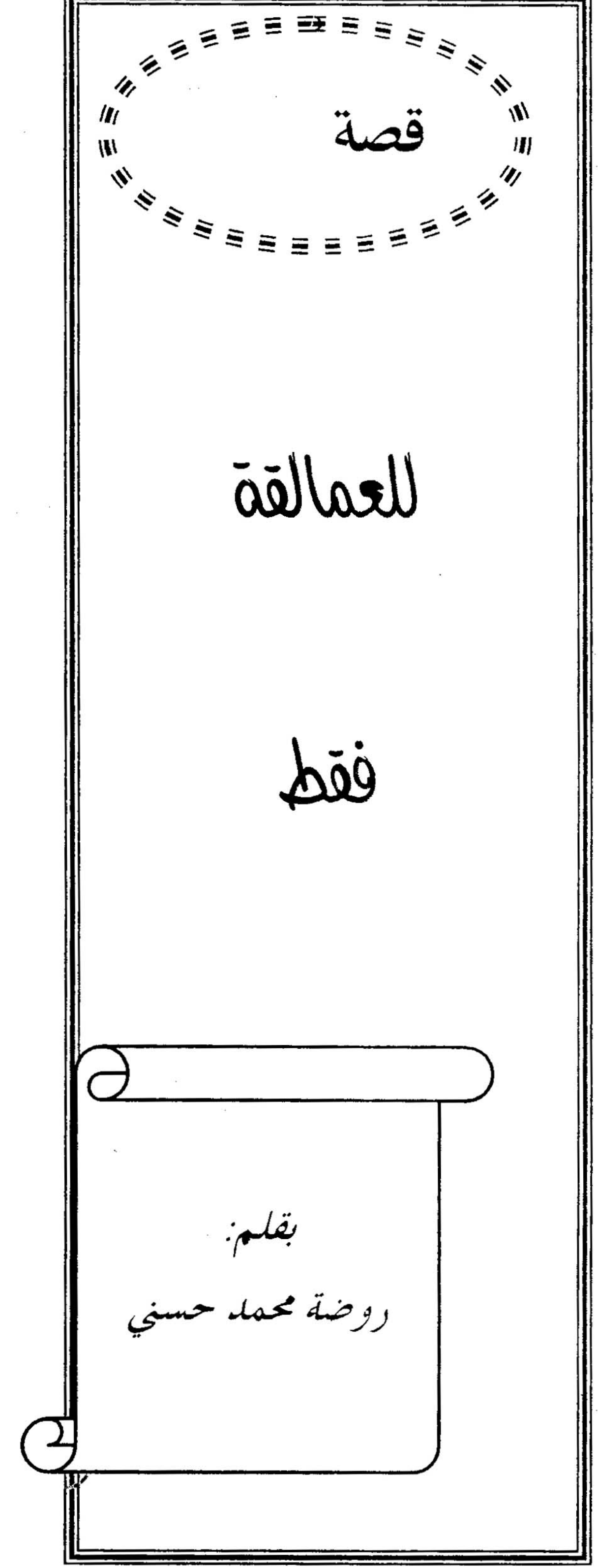
ولم نعد ننح ولا نعرّب فجرى التحنيط على اللغة والصمد بالمتحف لتوقف مثل كعبة الأوثان لا نجرؤ على مسّها ولا نقبل أن يمسّها غيرنا أو يدخل عليها من ضرورات الكلام، لانستعمل إلاّ ما ورد في الماضي وأصبحت لاتفيد للمستقبل وأغراضه وصارت كشجرة لا نشذب اليابس منها ولا تفرع جديداً.

نزعم أنها كاملة للماضي والحاضر والمستقبل، فلا يموت منها ولا يولد منها وهذا خطأ، لا نرضى بإدخال الغريب مثل لغات العالم التي يدخل عليها كل عام مئات الكلمات حسب تقدم العلوم والتكنولوجيا ويجوز أن يعرف ذلك طلابنا الدارسين في أوروبا.

ومن المناسب أن توضع الكلمات العربية لكل ما هو جديد ومقابلها صوراً للتفسير تثبت في المعاجم وأن لا تأتي كلمة بمعنيين وبنفس الحروف واللفظ. مثل: أسامة هي اسم من أسماء الأسد وأسامة اسم لفرخ العقاب.

عندها لا يكون كمن يرث عن آبائه ثروة لا يعمل ليزيدها وهي بحاجة النمو بحكم ظروف في حضارتنا الجديدة.

وفي الختام نأمل منه تعالى أن ينظر إلى هذه الأمة ويبارك معطياتها لغة وسلوكاً ويحرر أقطارها ويرشدها لسبيل الهدى الصحيح والمنطق الفصيح وفي طريق الرشاد على الزمان والسلام.



عشرُ أصابعَ قصارٍ تواطأت مع كفيَّ متلقفةً وجهي المشتعلَ المتهاوي، حينها أيقنت بأني متقزمٌ...

* * *

كنت أخشى الاقترابَ من ترابِ الأرض... لذلك امتهنت كلَ شيء، الحبَ، والصداقةَ والكتابةَ، وحتى الأبوةَ... فصديقي من يمد لي يديه ويرفعني عالياً دون أن أُضطرَ لشكره أو الثناءِ عليه أو النظرِ إليه.. يكفي أن أطعمَه حفنةَ مشاعرَ ليستمرَ برفعي عالياً دون تذمرٍ، في زمنِ الاحتياجِ للحب... كانت حفنةُ مشاعرَ غيرُ مقذوفة جزافاً، تكفي لتستنهضَ أكثرَ الهممِ فتوراً.

أُسائل نفسي ماذا أحتاج لأتقنَ مهنتي؟ لسانٌ طليقٌ رشيقٌ رصينٌ فصيحٌ، ورقّةُ الحبيبِ، ودبلوماسيةُ السياسي، وحنكةُ التاجرِ... أعطني أولاً ثم أعطني لتأخذ.

انتسبتُ لكلِ الجمعياتِ والاتحادات، وتبنَّيْتُ مبادئَ جميعِ الأحزابِ، كلٍّ واحد على حدة دون إيمانٍ مطلقٍ أو جزئيٍّ بأيٍّ منهم... كانَ الدعمُ سخياً ومطلقاً، وطد علاقتي مع الكثيرين، كنت قد قررت داخلَ نفسي ألا أحبَّ من أتعاملَ معهم.. وألاّ أدخلَ في صداقات حميمة وألاّ أصرحَ بسرِّي لأحد وأن أتّبعَ سياسةَ المدِّ والجزر.

لم أكنْ متملقاً أو انتهازياً، ولا أجوفَ المشاعرِ، فقط هي مهنةٌ توجّب عليَّ إتقانَها.

سريعاً أصبحت عملاقاً، فحلمي ليس نزوةً متمردةً عابرةً أو مسّاً من خُبال.

كنت أمسك بلجامِ الكلمةِ وأُنيخُها على أبوابِ كلِّ المقاماتِ العاليةِ، وعلى صفحات كل

الجرائد المحلية والعربية.. حتى إنني انتدبت كاتباً ليترجمَ أعمالي فتسويق الكاتب من الخارج هي اللبنةُ الأساسيةُ لنجاحه في بلدِه.

جعلتُ الأيامَ تجترُّ نفسَهَا، واسترهنتُها ونفسي للكتابة، ونضحَ الحبرِ من الأقلامِ الجافة الفارغة... رائحةُ الحبر كانت تذكرني (بالمارد) عامل المطبعة.. أذكره جيداً، كان طويل القامة ضامرَ الأحشاء، ضيِّقَ الشاربيْن، أسمرَ الوجه، جاحظَ العينين... تستشفُ منهما طيوفَ ذئاب، كانتا لماعتين لماحتين صائدتين. وقد أُنيطتْ به مهامٌ حملِ رزم الكتب والجرائد المتكدسةِ من المطبعةِ إلى سيارة صغيرة لنقلها... فيفعل ما أُمر به بكياسة ورشاقة وكأن حملاً لم يكنْ يلامس أصابعه الضخمة لذلك لقبه كل عمالِ المطبعةِ بالمارد.. ومع هذا لم يكنْ محضَ تعسُّف وضيقٍ لأي شخص عرفه.

كانت الأحبارُ ملتصقةً به برائحتِها الواخزةِ وألوانها المطبوعةِ على ذراعيه وثيابه الرثة وسمرةِ وجهه وأصابعِ قدميه الزاحفةِ خارجَ خفيه، دون أي محاولة منه لإزالتها.

ولم يكن يعير نفسَه أُدنى اهتمامٍ لهذا الكمِ الهائلِ الطافحِ من الكلمات، بل يبقى في حيْرة مُنغصة متمتم في لواعج نفسه: "ماذا لو أطعمونا بدلَ الكلامِ خبزاً"

ثم ينتظر حتى يئين له موعدُ تسليمِ الجرائد والكتب لمؤلفيها فيسارع ينادي: سيدي.. سيدي الأستاذ.." يصافحه بيده المتسخة ثم يطلب نسخةً له وأخرى لزوجةٍ وهمية، يلقي بالنسخة المذيلة بتوقيعِ الكاتبِ في غرفة حقيرة داخل المطبعةِ لحينِ الحاجةِ، أما الأخرى فيأخذها مع مثيلاتِها لتباعَ على الأرصفة. وقد استطاع بالفطرة تعلمَ ما يناسب السوقَ كانت نفسه تتوجسُ خيفةً من أن يكون الكتابُ شعراً أو قصةً فالرزقُ حينها (لا يحمل همه)، أما إذا كان الكتابُ مترجماً أو لدراسة ما انفرجت أساريرُه، وأخذ يلوب عن سببٍ مسوِّغ للخروجِ من المطبعةِ، يبيع الكتابَ بسعرٍ جيد ويعود مليءَ البطنِ قريرَ العينِ.

المارد اختفى بعد ذلك من المطبعة فقد تزوج وشاعت روايةٌ مفادُها أن زوجَته وحماهُ التي خطبته لابنتها العانسِ قررتا أن ترفعا من شأنه فلم تعودا ترضَيان أن يعملَ في المطبعة أو أن يلقبَ بالمارد.

اختفى الماردُ وبقيتْ رائحةُ الحبرِ تزْكم أنفي، وتذكرني به كلما أمسكت قلماً أو كتاباً. أو رُويتْ عنه قصةٌ يُسَرُّ لها السامعون.

من يومها دأبتُ على كتابة المقالات والدراسات، لأستنشقَ رائحةَ العظمةِ المتبخرةِ من الوجوه المشدوهة إليَّ الغائصة في تفاصيلِ يديَ وعينيَّ المتنقلتين بين الأوراقِ وبين دهشتهم.

أحد المشدوهينَ بعظمةِ صنيعي، انبثقت فكرةٌ من مخيلتِه:

"ماذا لو دعوناكَ إلى منتدى ثقافي، تكون فيه محاضراً خدمةً لهذا الوطنِ الحبيب"

"محاضرةٌ للوطنِ الحبيب..!!؟"

اقتربت تلك الفكرةُ من رأسي كثيراً حتى إني أفرغت عقلي من كل شيء إلا منها، وخامرني شعورٌ بأن قدميَّ تجراني إلى مدينةٍ للقصارِ لا ينقطع حُماها ولا ينكشف وباؤها، وأن فيها أقزاماً قاماتهم قَدْرَ ذراع وأكثرُهم

عُوْرٌ، وأنهم خصصوا بفطسِ الأنف، واستطالةَ الأذنين، وغلظ الشفتين، وتشققِ اليدين والكعبين، وقلة العقل. وليس لهم شريعةً يراجعونها... وأني ذاك العملاقُ الذي دسوه في قفصٍ صغيرٍ وحين استفاق حطم القفصَ وأنقذهم من عدوهم الغرانيق.

دخلتُ المدينة أُأسسُ شريعتي فيها.. وأرسم على جدارِ كتاباتي الثالوثَ المحرمَ، وأتنصل من كل معتقداتي فلم تعدْ تربطني بالواقعِ وشيجةٌ سوى أصوات تقترب مني وتمضي إلى مبتغاها... وأفكار تستحم في سخونة دمائي، سأثبت في هذا المنتدى أن عالمُ الأدب مدينةٌ للقصار لا تتسع إلا لمن مثلي من العمالقَة..!؟

وصلت المنتدى متأخراً كعادتي، كان المحاضر قزماً صغيرا، وكنت كلما استشففت لغطاً شبيهاً بالكلام، تزداد عملقتي شيئاً فشيئاً.. فأغمغم بيني وبين نفسي (أنا الأفضل) وربما كان أوْلى به أن يفقدَ الوقارَ والعقلَ والرصانةَ بعد توبيخِ الأعينِ المتململة والأنفاسِ الزافرة.. والأفواه المتثائبة.. وكأن شتيمةً مبطنةً كانت توجه إليه.

لكنه نزل عن المنبر بهدوءٍ تاركاً مكانه الباردَ لي.. سيرتي الذاتيةُ كانت تناسب عملقتي، لذلك اكتفى مستضيفي بمقتطفاتٍ عن جوائزي وكتبي وانتساباتي، وبعدها أصبح كل من حولي في كمِ أفكاري يأتمرون لأمري، ويوافقونني الرأي دون أن ينصتوا، وأسلبُ متى شئت إرادتَهم.. فإن أخطأتُ يصوبون الصوابَ.. ليتبعوا ما انزاح مني.

كلُ شيءٍ سار في أحسنِ حال حتى كدت أن أطأَهُم بقدمي وأمضي لولا قزمٌ.. أو ربما أكبرُ قليلاً خرج من بلدة القصار، راح يسائلني عنِ أشياء تضمنتها كتبي لا أفهم من أمرها شيئاً.. حاولتُ التملص بحنكتي المعتادة والدورانِ حول السؤالِ ألفَ شوط.. لكنه كان يمسكني كلَّ مرة من ناصيتي وتزداد يدُهُ القابضةُ عليَّ بالتضخمِ وكان كلما احتكمني إلى العلمِ أشعر به يستطيل ويستطيل.امتلأت نفسي فَزَعاً وذُعراً، كنت كمن وُضع على قطعة فحم ليِّنة. ليخرجَ من جسدي رائحةَ الحبرِ. أخذ يقنع من حولي بالحجةِ الدامغة بأني لستُ سوى جامعٍ أبلهَ لأفكارِ سواي.. جامعٍ مؤتمن على نقل حرفيٍّ لكل شيء، دون أن أتبصرَ حقيقتَهُ أو أفهمَهُ... يجادلني، وصورةُ ذاك الشاب الحقيرِ الدميم (المارد) تنضح في ذاكرتي... أتلقف صورةَ زوجته وصوتها المرصوص: "أريدكَ أن تكونَ ذا شأنٍ عظيم، العلم جمعٌ وليس نبعاً... ابحث في كتب الموتى والمهمّشينَ.. والمنسيين واجمع. لا أريدك بعد اليومِ أن تكونَ عاملَ مطبعة ليس له إلاّ لقبُ المارد.

بدا لي أن جسدي يتشكل بما يلائم مدينة القصار... استطالة في الأذنين، وتشققٌ في اليدينِ والكعبينِ، وفطسٌ في الأنف، وغلظٌ في الشفتينِ وأن المنبرَ كان كبيرا ضخماً لا يتسع لحجمي، وأن مدينةَ القصار لمْ يكن فيها سوى عمالقة...

وأن عشرَ أصابعَ قصار تواطأت مع كفيَّ متلقفةً وجهي المشتعلَ المتهاوي، حينها أيقنت بأني متقزمٌ...




حُسْن..

شعر: خالد سرحان الفهد

يا حُسْنُ.. يا ذاكَ القطافُ الداني..
أفديك، كمْ هبَّ الهوى ورماني
يا حُسْنُ.. لا تقسو عليَّ وخُذْ يدي
أرجوكِ، كمْ يقسو عليَّ زماني
أفنيتُ عمري فيكَ لا تجني على
روحي، ولو زلَّ الخؤونُ لساني
وإذا قدحتُ زنادَ ناري غاضباً
يوماً، ستحرقُ خافقي نيراني
وأنا العجيبُ الطبعِ، فيضُ تناقضٍ
يا سيدي، سبحانَ من سوّاني
فأنا وأنت على الزمانِ، ومثلما
أحياكَ حُبّاً سيدي تحياني
متلازمان وشاء ربُّكَ أننا
(مهما يكونُ) لِعُمْلةٍ وجهانِ
جسدان نحيا في الرياض وإنما
يا سيدي بالروح يشتركان
ولنا كما شاء الإله مطامحٌ،
ومطامعٌ ومواجعٌ وأماني
الحبُّ يا مولايَ كفٌّ بازلٌ
كالخمر من شهد الرُّضاب سقاني
فلأنت كل الحب - يا مُتنفسي -
والحبُّ حيثُ أماتني، أحياني
هذا الزمانُ لنا نعيشُ بروضهِ
ولو اختلفنا فيه، متّفقانِ
إهدأ.. فلو كان الزمان بأسره
ملكي ورهني، عنكَ ما أغناني




رحلة صحفية أدبية في عالم الشاعر محمد عدنان قيطاز

حاورته:
لما عبدالله كريجها

القمم العالية دائماً تجعلنا ننظر للأعلى مندهشين متسائلين عن ذلك السر الغريب في شموخها وسموها في أنفتها ورفعتها وتطلعها الدائم نحو لسماء.

هو علم كبير وقمة عالية تتباهى حماة بكونه أحد أبنائها البررة إنه الشاعر والباحث والمؤرخ محمد عنان قيطاز.

بدأ حياته صحفياً ومن ثم عمل في التعليم مدرساً ومديراً ومشرفاً على المكتبات المدرسية ورئيساً لدائرة تقنيات التعليم في مديرية التربية بحماة.

أعير إلى حكومة قطر من عام ١٩٦١ لغاية ١٩٦٣.

شارك في إحياء المهرجانات الأدبية والقومية في سورية، وألقى العديد من المحاضرات الأدبية والتاريخية في المراكز الثقافية وجامعة البعث.

كرمته إدارة التعليم في الخور بصفته واحدا من رواد التعليم في قطر، كما كرمته شبيبة الثورة في سورية، وكرمه اتحاد الكتاب العرب في سورية، ودعاه محافظ حماة لإلقاء كلمة في مجلس المحافظة، كما قلده رئيس مجلس المدينة وشاح حماة وأخيراً كرمته جمعية العاديات لأبحاثه التاريخية.

من آثاره المطبوعة:

١- ديوان اللهب الأخضر – طباعة حماة.

٢- ديوان في ملكوت الحب – منشورات وزارة الثقافة السورية.

٣- ديوان وحيد عبود – جمع ودراسة – اتحاد الكتاب العرب.

٤- أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره – وزارة الثقافة السورية.

٥- ديوان أسفار بن أيوب الحموي - اتحاد الكتاب العرب.

٦- ديوان وجهك المستبد - اتحاد الكتاب العرب.

٧- شرح الصدور لشرح زوائد الشذور للشمس البرماوي - تحقيق - والكتاب تتمة لشذور الذهب في النحو - وزارة الثقافة السورية.

وهناك عدة كتب مخطوطة تنتظر الطباعة أمثال:

- ملوك بني أيوب في حماة.
- تاريخ صحافة حماة.
- الشيخ محمد الهلالي - دراسة أدبية.
- حماة على ألسنة الرحالة والجغرافيين... وغيرها.

جاء في الراية القطرية للدكتور حسام الخطيب قوله:

"كان الشاعر محمد عدنان قيطاز يمثل فحولة جيل الكلاسيكية المتجددة بقوة نبرتها، وانتظام إيقاع أوزانها وقوافيها، وجزالة ألفاظها، ومتانة تراكيبها، ووضوح مراميها وتأطر صورها في نطاق الخيال الممكن والمدرك، إنه صوت البيئة الثقافية العريقة في مدينة حماة ذات الشخصية العربية النقية التي ظلت وفية لوادي عبقر في الجزيرة العربية ولأصداء المعلقات السبع.

• ما هي البدايات الشعرية للأستاذ محمد عدنان قيطاز؟

** بدأت شاعراً منذ المرحلة الإعدادية ووجدت تشجيعاً من أساتذتي فألقيت شيئاً من شعري في ثانوية أبي الفداء وأسهمت بتحرير مجلة مدرسية بل كانت هناك مجلتان مجلة في مدرسة ابن رشد (الشعلة) وفي مدرسة أبي الفداء (وثبة الجيل) ونشرت في كلتا المجلتين ثم نشرت في الصحافة والدوريات السورية واللبنانية ولكن بعدها اختارني مدير ثانوية أبي الفداء (عثمان الشققي) لأعمل معه في مجلة النواعير بحماة في بداية الخمسينيات.

تابعت فترة طويلة ونشرت العديد من الأشعار والأبحاث وقد ساعدني على ذلك وجودي في الصحافة وكنت أجد دعماً من قبل معلم البيان في حماة (قدري العمر) وهو ممن أسهم في بناء القصة الحموية.

كان شعري في مرحلة البدايات شعراً قوياً.

• حدثنا عن المسابقات والجوائز التي شاركت فيها وحصلت عليها، وهل تعرضت يوماً لنوع من المحسوبيات فسلبت حقاً وتعرضت للظلم؟

** أنا لم أشترك في أية مسابقة أدبية ولم أتعرض لأي مهزلة من المهازل التي مرت على غيري لأني أربى بنفسي أن أكون عرضة للمساومة، ومع الأيام أصبحت عضواً محكماً في الجوائز، إما جوائز اتحاد الكتاب في حماة أو بعض الجوائز الكبيرة في القطر.

• هل ترك السفر أي آثار على حياتك وتجربتك الشعرية؟

** عملت في بداية حياتي معلماً في الخليج (قطر) ولم تكن هناك الصحافة الخليجية للنشر فكنت أراسل إذاعة الكويت وكان لي أكثر من برنامج في الإذاعة الكويتية تحدثت فيه عن أعلام الفاتحين العرب وعن شعراء مجهولين في تاريخ الأدب العربي وعندما عدت إلى سورية بدأت نشاطي الأدبي عبر الدوريات

والمراكز الثقافية السورية وبخاصة الثقافة الشهرية والأسبوعية لمدحت عكاش.

لا أكتمك أن السفر كان له تأثير على مسيرتي الفنية وبحكم صداقاتي مع رجالات الخليج استطعت أن أبني لنفسي مجداً أدبياً في قطر ظهر هذا الأثر بعد ٣٠ أو ٤٠ سنة عندما زرت منطقة الخليج في التسعينات ومطلع القرن الحادي والعشرين.

تسابقت الصحافة الخليجية لنشر أخباري وسوف ترين في السيرة الذاتية ما كتبه الدكتور حسام الخطيب في جريدة الراية في أعقاب أمسية شعرية، حتى الإذاعة القطرية شاركت في ذلك.

لكن الناس ينظرون إلى المغترب نظرة مختلفة وهي بشكل عام نظرة مادية.

• أنت من جيل الشعر الكلاسيكي لكنك مع ذلك كتبت شعر التفعيلة (ديوان وجهك المستبد). هل نستطيع أن نقول إنك قد تتخلى عن الشعر الكلاسيكي وتنحاز للتفعيلة؟ وما هي رؤيتك الخاصة تجاه الشعر بشكل عام؟ أيضاً هل ترى أن شعر الحداثة وقصيدة النثر هو شعر يناسب هذا الزمن وهل من الممكن أن نعتبر قصيدة النثر هي مستقبل واقع الشعر؟

** أنا مع الحداثة الشعرية وإن كنت شاعراً كلاسيكياً وأنا أريد من الشاعر في بدايته الفنية أن يتعرف على الأدوات الفنية فأنا لا أستطيع أن أنسخ العروض أو القافية من الشعر أو أنفي عنه بنيته الفنية القائمة على النحو العربي وعندما يتعرف الشاعر على هذه الأدوات يكون قادرا على التجديد.

أما الشاعر الذي لا يتقن أدواته الفنية فليس بشاعر، وأنا تعرضت في مرحلة من المراحل للهجوم من بعض الأدباء والشعراء بسبب آرائي القاسية حول هذا الموضوع وقد كان لي قصيدة رداً على من ينتقدني عنوانها (أيها الولد).

• كونك شاعراً ومؤرخاً هل من الممكن أن نتكلم عن علاقة تربط بين هذين الاتجاهين؟ وإن وجدت هذه العلاقة فإلى أي اتجاه تنحاز أكثر وأين تجد نفسك؟

** أنا أجد نفسي في الشعر وقراءتي للتاريخ تجعلني أستفيد من التاريخ وحوادثه وأعلامه لإثراء بنية القصيدة الشعرية عندي أضرب مثلاً: قصيدة أبي الفداء من ديوان اللهب الأخضر، قصيدة وجيه البارودي، قصيدة بعمر يحيى.

فالشاعر ينحاز إلى الشعر ولكن التاريخ جزء من ثقافته.

التاريخ تصنعه السياسة، الشعراء يبحثون عن الإنسان والحقيقة.

• كمؤرخ وشاعر كيف تقف أمام السياسة؟

** أنا أرى أن الشاعر يجب أن يكون شاعراً ولا يخوض التجارب السياسية لأنها لا تعود عليه بالخير وكثيرون تهربوا من السياسة أمثال الشاعر القروي وإيليا أبو ماضي حتى شاعر حماة بدر الدين الحامد كان يقول:

لعنة الله على (ساس) وما
فتق المشتق منها وخرق

وحتى المعري كان لا يميل إلى السياسة، لكن هذا لا يمنع أن يكون الشاعر متأثرا بأحداث مجتمعه وقضايا وطنه لأن النضال ضد الاحتلال هو نوع من السياسة ولكن الشاعر

يستطيع أن يجعل هذه السياسة لوناً من ألـوان المقاومة.

• قمت بإجراء دراسات وبحوث عديـدة عن حماه وأعلامها، لماذا حماة؟

** هل هي حميمية خاصة تربطك بهـا؟ أم هو شعور بظلم تعرضت له حماة عبر ابتعـاد بعض مفكريها وأدبائها عن إضاءة صـفحاتها الغنية بإرث تاريخي وأدبي موغل في الأصالة؟

حماة مدينة عريقة لها تاريخ حافل بالأمجاد منذ أيام الحثّيين والآراميين وفي أيام الدولـة الأيوبية وقد كانت حماة عاصمة لمملكة آرامية كما كانت مركزاً من مراكز الأدب والثقافة فـي بلاد الشام إبان العهد الأيـوبي ومـن خـلال قراءتي للتاريخ وجدت أن حماة تمتلـك هـذا التراث الضـخم مـن الإرث النضـالي (ضـد الصليبين والمغول) والإرث الأدبي لأن كثيرين من الأدباء والعلماء أقاموا في حمـاة ومـاتوا على أرضها والأسماء كثيرة تفوق الحصر.

• كيف ترى وتصور المكان والزمان في شعرك؟ وهل هناك علاقة تربط المكان بالزمان عبر تجربتك الشعرية؟

** الزمان والمكان في شعري يمتدان طولاً وعرضاً ودائماً المكان هو حماة والزمان هـو المرحلة التي أعيشها في هذه المدينة الجميلـة وأنا أعد حماة من أجمـل المـدن التاريخيـة المعاصرة لذلك فإن الحديث عن الزمكنة مـن نافلة القول وهناك بعض الأكـاديميين الـذين تناولوا هذين الموضوعين في شعري.

حدثنا عن صورة المرأة في شعرك، هل لها صورة خاصة ضمن تجربتك الشعرية؟ أيضـاً هل من الممكن أن نقول أن لديك صورة للمرأة أقرب إلى نفسك من سواها؟

تتمتع المرأة في شعري باحترامي الخـاص وأنا إنسان أستحي أن أتحـدث عـن تجـاربي الماضية لكن من يقرأ شـعري سـوف يـدرك بوضوح أني أحب المرأة وأقدسـها ولكنـي لا أتاجر بعواطفها.

• الصورة المفضلة التي تقوم بتوثيقهـا ضمن تجربتك الشعرية ماذا تمثل؟ هـل هـي تتعلق بالحب، بالوطن، بالإنسانية، بالحزن..؟!

** كل ما نظمته من شعر يتعلق بـالوطن وتاريخه ونضال رجالاته.

• المحرمات الثلاثة في الأدب (السياسـة والجنس والدين)، ما هو موقفك من القصـيدة الجريئة؟ وهل دخلت ميادينها؟ وهل تـرى أن للقصيدة حدوداً يجب أن تقف عندها؟

** أنا لست مع القصـيدة التـي تتنـاول معتقدات الإنسان والدين فـي نظـري شـيء مقدس وما يقال عن الدين يقال عن الجنس فأنا لا أرحب بالقصائد التي تنال من كرامة المـرأة لتجعل منها ألعوبة وأنا أعتقد بما قاله إيليا أبو ماضي في هذا المضمار:

أنـا بالحـب قـد وصـلت إلـى
نفسـي وبالحـب قـد عرفـت الله

• ما رأيك بدخول الرمز إلى الشعر؟ وهل ترى أن الرمز يجب أن يتمثل عبـر توظيـف الموروث الديني والتاريخي لبيئة الشاعر أم أنه قد يتعدى ذلك إلى عالم الأسطورة الواسع دون التقيد بحدود البيئة والمجتمع والمتلقي الـذي يعيش في هذا الوسط؟

** أنا مع استخدام الرمز في حدود ضـيقة بحيث يستطيع الشاعر أن يعبر عـن خلجاتـه الداخلية مستعيناً بالرمز لإيصال المعنـى إلـى

المتلقي، أما أن نستخدم الرمز والأسطورة بشكل اعتباطي عشوائي فأنا لا أرحب بذلك لأني أريد أن يبقى الشعر شعراً ولا أريد أن أدخل في متاهات ضبابية.

• حسناً لنعد لسؤال سابق، انطلاقاً من عالم الرمز هل ترى علاقة تربط ما بين الرمز والمرأة بصورها المتعددة والأسطورة؟ وهل لهذه العلاقة مكانة وإن كانت بسيطة ضمن قصائدك؟

** إن شعري موظف لأهداف لا علاقة لها بالمرأة وهذا لا يعني أني لا أرحب بالرمز الشعري الذي يفصح عن مكنونات النفس وهناك شعراء كثيرون لهم تجاربهم الشعرية في عالم المرأة ورموزها.

• هل ترى أن للغة الشعرية إمكانية ومفردات تصويرية قد تقف عند حد معين معلنة نهاية القاموس الشعري الخاص بالشاعر؟

** لا نهاية للقاموس الشعري عند أي شاعر من الشعراء لأن الشاعر بطبيعته يميل إلى التجديد لإثراء البناء الفني للقصيدة.

• ما دور الصداقة في حياتك؟ وما هي رؤيتك للصداقة في الوسط الأدبي والثقافي؟ وهل هناك علاقات متينة تعتز بها مع أسماء لامعة وكبيرة عبر مسيرتك الطويلة؟

** لا يستطيع الشاعر أن يعيش بعيداً عن الوسط الاجتماعي ولي علاقاتي الاجتماعية مع كثيرين من الأدباء الحمويين وغيرهم وأنا أعتز بهذه الصدقات وإن منها صداقات لدودة عانيت منها الأمرين، ولي شعر بأصدقائي كثير مثال رثاء (علي دمر).

• كيف ترى واقع الثقافة اليوم؟ وما هو تقويمك للشعر والأدب الحموي؟ وهل ترى أن الشعر والأدب يساهمان في تقويم المجتمعات وبناء الإنسانية وتحريرها أم أن الموضوع لا يتعدى حبراً على ورق؟

** الشعر الحموي بخير هناك شعراء شباب أنتظر منهم المستحيل أمثال: حسان عربش، ياسر البرازي، وآخرين غيرهم.

كما أن هناك بعض الأديبات اللواتي ننتظر على أيديهن ازدهار المجتمع الأدبي أمثال: حباب بدوي، سماح حكواتي، وأخريات غيرهن. كما نرجو أن يسهم الشعر في بناء الأفراد والمجتمعات.

• شعر المدح والهجاء، ما هو موقفك ممن يتخذ هذا النوع من الشعر طريقاً للشهرة والمكاسب؟

** أنا ضد شعر المدح طلباً للارتزاق.

• بعد هذا المشوار الطويل من العطاء هل أنت راض عن نفسك ومكتف بما قدمته؟

** طبعاً ما زال هناك الكثير من مخزون الذاكرة لكتابته وأرجو من الله أن يعطيني الصحة لأتابع هذا الطريق الأدبي على عسرته ووعورته.

• ما هي الرسالة التي تحب توجيهها للإنسان بشكل عام والأديب بشكل خاص من خلال هذا اللقاء؟

** أرجو من كل شاعر وأديب أن يكون صادقاً مع نفسه ومجتمعه وأن يعمل من أجل محبة الآخرين وأن يكون وفياً لقضايا هذا الوطن.

الفلسفة اليونانية

بقلم:
محمد دعاوي

ظهرت الحضارة اليونانية متأخرة في الزمن عن حضارات الشرق المتوسطي المصرية والبابلية والفينيقية ذات الأصل والهوية المشتركة وقد بدت الحضارة اليونانية كتلميذ نجيب تتلمذ على الحضارات السابقة استفاد منها واقتبس الشيء الكثير أدبا وعلما وفلسفةً وميثيولوجيا وأبجديةً وعمرانا وصناعةً وزراعةً وتجارة وفناً، بل إن الحضارة اليونانية لم تكن لتظهر للوجود لولا الحضارات الشرقية ولم تكن أثينا لتزدهر لولا بابل وأوغاريت وصور وجبيل وأور وممفيس وطيبة وغيرها.

ولعل أهم منجزات الحضارة اليونانية هو الفلسفة ذلك الجهد العقلي الجبار والنشاط التأملي المصاحب للابتكار والنظر العلمي المحض النزّاع لحب الاستطلاع والمعرفة ودائم التساؤل والدهشة. وقد نشأت الفلسفة اليونانية بالتدرج فلم تولد مكتملة النمو بل مرت بمراحل وأطوار بدأت حبواً ثم استوت تمشي على ساقها وتركض منطلقة في رحاب العقل. ويمن عدّ سقراط علامة فاصلة في الفلسفة اليونانية أي الفلسفة قبل سقراط والفلسفة بعده.

نشأت الفلسفة اليونانية في المستعمرات اليونانية من آسيا الصغرى وإيطاليا، وبلغت أوجها في أثينا مع سقراط وتلميذيه أفلاطون وأرسطو. وقد ظهرت أول مدرسة للفلاسفة اليونانيين في ملطية على الساحل الإيوني وكونها مدينة ساحلية وتجارية بآن معاً فقد كانت على اتصال وثيق بالشرق وحضاراته وعنه أخذت الفلسفة وبه تأثرت تأثراً قويا وردد فلاسفتها تعاليمه وأفكاره.

وأقدم فيلسوف يصل إلينا ذكره هو طاليس الملطي الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد وكان على صلة بالأفكار البابلية والمصرية ودراية جيدة بها واطلاع واسع عليها حتى أنه تنبأ بكسوف شمسي في ملطية وفقاً للسجلات البابلية الفلكية وذهب طاليس إلى أن الماء هو مصدر جميع الأشياء. وكان طاليس يُنظر إليه بمزيد من الاحترام والتقدير عند قدامى الإغريق وعدّوه أحد حكماء عصره.

وثمة فيلسوف آخر كان على تماس مباشر بالفكر والفلسفة الشرقية هو فيثاغورث الذي ارتحل إلى مصر وبابل وبلاد الفينيقيين ليطلع على علوم الفلك والرياضيات والهندسة والموسيقا والديانات وما أنتجه الشرق من فكر وثقافة ثم ليعود بعد ذلك وهو في الخامسة والستين من عمره ليؤسس مدرسة عرفت باسمه وامتازت بتأثرها الشديد بحضارة الشرق وروحانيته. وينسب إلى فيثاغورث أنه أول من أطلق لفظ فلسفة لأنه كان يقول عن نفسه أنه ليس حكيماً لأن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة بل فيلسوف أي محب للحكمة. وكان لفيثاغورث اهتمام خاص بالرياضيات التي استمد معارفه عنها من مصر وبها حاول تفسير العالم من حوله.

وتنطوي الفلسفة الفيثاغورية على قسمين كبيرين هما قسم النظر في الكون وعلته وقسم التصوف ويعتبر القسم الأول أن الحقيقة قائمة في العدد مبدأ جميع الكائنات فهو جوهر الوجود تزول الأشياء وهو لا يزول والكائنات متفرعة كالعدد عن الواحد إلى الكثرة العددية والكثرة العددية عائدة إلى الواحد الذي هو مبدؤها ونقطة تفرعها ويقضي القسم الثاني بالانعتاق من سيطرة المادة ويعتبر الكل متمثلاً بالله.

ويلي فيثاغورث شخصية فلسفية تدعى هرقليطس الملقب بالغامض والذي كان لفلسفته تأثير كبير في فكر الفلاسفة الأوروبيين لاحقاً بعد قرون متطاولة من الزمن وتحديداً هيجل وماركس. واعتبر هرقليطس أن قوام العالم الحقيقي هو التآلف المتوازن بين الأضداد فمن وراء صراع الأضداد وفقاً لمقادير محسوبة يكمن انسجام خفي أو تناغم هو جوهر العالم.

على أن هذه الفكرة الكونية لا تظهر للعيان في كثير من الأحيان لأن الطبيعة تحب الاختفاء بل يبدو أن رأيه هو أن التناغم ينبغي أن يكون شيئاً لا تدركه العين على الفور فالتناغم الخفي أفضل من الواضح بل إن الناس كثيراً ما يتغافلون عن وجود الانسجام. وهكذا فإن الخلاف والصراع هما المبدأ المحرك الذي يحفظ للعالم حياته وإن كل ما يحدث في العالم إنما هو عملية تنطوي على المبادلات ولا شيء يظل على حاله أبداً فأنت لا تستطيع أن تستحم في النهر نفسه مرتين لأن مياهاً جديدة تتدفق عليك بلا انقطاع. ولهرقليطس عبارة يقول فيها: "إننا ننزل في النهر نفسه ولا [illegible] إننا نكون ولا نكون" وهذا تعبير غا[illegible]ن القول إن أساس وحدة وجودنا هو التغير الدائم. وله عبارة أخرى تتضمن المعنى نفسه: "وهي الطريق الصاعد هو نفسه الطريق الهابط" فالطريق المنحدر يتجه إلى أعلى وإلى أسفل تبعاً للاتجاه الذي تسير فيه. ولقد كان من أقوى العبارات التي استخدمها هرقليطس للتعبير عن فكرة الأضداد المتناغمة قوله: "الخير والشر واحد" وهي عبارة لا تعني بالطبع

أن الخير والشر هما الشيء نفسه بل تعني عكس ذلك فكما أن المرء لا يستطيع تصور طريق صاعد من دون طريق هابط فكذلك لا يستطيع المرء أن يفهم فكرة الخير من غير أن يفهم فكرة الشر في الوقت ذاته والواقع أنك لو أزلت الطريق الصاعد بإزالة المنحدر مثلاً فإنك بذلك تقضي أيضاً على الطريق الهابط وكذلك الحال في الخير والشر فالأشياء كلها في صيرورة وبهذا يعارض هرقليطس مبدأ الثبات ويؤكد مبدأ التغير المطلق.

ولتفسير العالم المتغير من حولنا وضع بعض الفلاسفة النظرية الذرية ومنهم: لوكيبوس وديمقريطس وأنكساغوراس وتقوم النظرية الذرية على فكرة الجزيئات المكونة التي لا تحصى ولا يمكن تجزئتها أي أن أجزاء الأشياء مركبة من جزئيات أصغر منها حجماً غير متناهية العدد وغير قابلة للانقسام ومعنى عدم قابلية الانقسام من هذه الجزئيات هو أنها لا يمكن أن تتفتت ماديا وهذه الذرات تتحرك دوماً في فراغ والسبب الذي يجعل الذرات لا ترى بالطريقة العادية هو أنها صغيرة إلى حد هائل وبذلك أصبح من الممكن تقديم تفسير للصيرورة أو التغير فالطابع المتغير دوماً للعالم ينشأ من إعادة ترتيب الذرات وتشكيلها. وقد تم إعادة إحياء النظرية الذرية في العصر الحديث على يد العالم الكيميائي دالتون.

وفي الوقت الذي كانت فيه المدارس الفلسفية تنمو خلال القرن الخامس قبل الميلاد ظهرت جماعة من الناس كانت بمعنى ما على هامش الفلسفة هؤلاء هم الذين يطلق عليهم عادة اسم السفسطائيين الذين يشير إليهم سقراط بازدراء بوصفهم أولئك الذين يجعلون الحجة الأضعف تبدو وكأنها الأقوى. والسفسطائية مأخوذة من كلمة سفيطس ومعناها المعلم وتحديداً معلم البيان وكانت عادة السفسطائيين أن يجوبوا البلاد ليعلموا الناس المبادئ التي يؤمنون بها وعرفوا أيضا بالمغالطين لأنهم شكوا في المعرفة بعد أن كثرت الأوهام والأخطاء في أفكارهم حيث كانوا يستعملون المنطق ليصلوا إلى نتائج خاطئة فأنزلوا الفكر إلى مستوى العامة من الناس. والسفسطائي معلم فصاحة يعلم تلميذه كيف يبرهن على كل ما يريد بصورة ظاهرية وأخذ السفسطائيون على عاتقهم تمرين وتعليم الشباب أسلوب الخطابة وفن النجاح في الحياة العملية مثل كيفية الوصول إلى المناصب وكسب الأصدقاء وتطبيق هذه التعاليم تطبيقا عملياً. يمكن وصفها في الفلسفة السقراطية بأنها تمزيق للقيم الأخلاقية والتقليدية والتربوية حيث تتضمن الأساليب التي لا تتفق والفضيلة.

لقد ظهر السفسطائيون في فترة تأزم حيث كانت النظريات المتعارضة للفلاسفة والمذاهب المختلفة والآراء المتصارعة مما لا يمكن معه قيام أي معرفة على الإطلاق بالإضافة إلى أن التجربة المتزايدة للاحتكاك بالشعوب الأخرى أثبتت أن هناك فجوات يستحيل عبورها بين عادات الشعوب المختلفة. ولما كان السفسطائيون يرون أن المعرفة لا يمكن اكتسابها فقد أعلنوا أنها ليست بذات أهمية والمهم هو الرأي المفيد ففي أداء الشؤون العملية يكون النجاح هو العامل الذي يطغى على غيره والمسائل الفلسفية غير المحسوسة هي شيء لا جدوى منه بالنسبة للأشخاص

العمليين الذين لا يجدون أصلاً وقتاً للانشغال بها.

وإذا كان اهتمام السفسطائيين منصباً على الممارسة العملية رأى سقراط أن هذه الممارسة لا تكفي وأن الحياة التي لا تخضع لفحص عقلي دقيق لا تستحق أن تعاش. ولما كان السفسطائيون يتكسبون من تعليمهم للشباب الميسورين الذين ينحدرون من طبقات راقية ويعلمونهم فن ترجيح رأي على آخر وكيف يمكنهم الاستفادة من قول الخصم في هزيمته ولما كان السفسطائيون قد اتخذوا من الفلسفة وفني الخطابة والجدل وسيلة لجمع المال وتكديس الثروات فحولوا بذلك العلم إلى حرفة يتكسب منها ولم ينظروا إليه كفضيلة ومعرفة وفي هذا تدمير لقيم العلم وقيم المعرفة كان موقف سقراط موقفاً عنيفاً منهم إذ اعتبرهم سبباً في إفساد الشباب وعاب عليهم تقاضيهم أجورا على تدريسهم وكذلك كان موقف أفلاطون وأرسطو من بعده إذ رأيا في السفسطائي صائد للشباب الفتي والغني ويدعي معرفة النفس البشرية وأنه عالم متضلع في شؤون السياسة وأنه مبتكر للعلوم وأنه ملك للكلمة وممتلك لفن المحادثة وأنه ينقي العلوم من الشوائب التي تلحق بها فهذه الادعاءات جميعها غير موصلة إلى العلم الحقيقي.

لقد أسقط الثالوث الفلسفي العظيم (سقراط – أفلاطون – أرسطو) السفسطائيين من عليائهم وأزاح الغشاوة عن استبدادهم السياسي وقساوتهم في فرض الضرائب على الأثينيين وبين مساوئ إطاحتهم بالقيم وتغذيتهم الروح المادية مكان الروح المثالية.

كانت نظرة السفسطائيين الفلسفية معادية للبحث العقلي ذلك لأن تلك النظرة مشوبة بالشك اليائس وكانت تشكل موقفاً سلبيا من مشكلة المعرفة يقول بعدم وجود حقيقة وضعية ولهذا فالإنسان هو مقياس للحكم على الأمور ويتلخص هذا الموقف بعبارة بروتاجوراس الشهيرة: "إن الإنسان مقياس كل شيء الأشياء الموجودة على أنها موجودة والأشياء غير الموجودة على أنها غير موجودة" وهكذا فإن رأي كل إنسان صحيح بالنسبة إليه ولا يمكن البت في الخلافات بين الناس على أساس الحقيقة فلا عجب إذن أن نجد السفسطائي تراسيماخوس يعرف العدالة بأنها مصلحة الأقوى.

فجاء سقراط الذي حاول إظهار فساد مذهب السفسطائيين والتدليل على وجود الحقائق الوضعية وقدرة العقل على الوصول إليها عن طريق الاستقراء والاستنتاج والمقابلة والجدل. لقد كانت الفلسفة عند سقراط طريقا للحياة، ومن ثم جاء أفلاطون بعد سقراط واعتمد عليه في قضية الإيمان بالعقل ووجود الحقائق الوضعية لكنه اعتبر الحقائق لا توجد في العقل فقط وإنما ذات وجود ذاتي في الأعلى في عالم المثل فلكل نوع من الموجودات الحسية ولكل معنى من المعاني مثال يجمع الاعتبارات الثابتة التي يشترك فيها أفراده والمثال هو الموجود الحقيقي لأنه ثابت لا يتغير ولا يحدث ولا يزول أما الموجود الحسي فهو صورة زائفة عنه وظل له.

وجاء بعد أفلاطون تلميذه أرسطو الذي وضع علماً آلياً يؤمن به من الخطأ في التفكير وهو علم المنطق واختلف مع أستاذه في قضية

الوجود فرفض اعتبار المثل ذات وجود ذاتي في الخارج وبكونها أصل الأشياء بل إن الأشياء ذات وجود حقيقي وليست المثل إلاّ الصور الموجودة عنها في العقل.

وقرر أرسطو أن العدم ليس ممكن الوجود لأنه عند ذلك يصبح للعدم حدوداً لبدئه ومنتهاه وهذا يخالف تعريف العدم الذي لا يعترف بحدود ويقول أرسطو لا يجوز أن يجتمع النفي والإثبات في مفهوم واحد. وطرح أرسطو فكرة الصورة والهيولى فالهيولى مادة قابلة للتحول والصورة هي التي تطبع في الموضوع وتعطيه كيانه وصورته المعينة والنفس في الإنسان هي صورة الجسد ومبدأ الحياة والحركة والإرادة فيه تنشأ بنشوئه وتفنى وتنعدم متى انحل كيانه فلا وجود للنفس إلاّ بالجسد.

ولا بد من الإشارة إلى أن المفهوم الرئيسي الذي يسري عبر الفلسفة اليونانية بأسرها هو مفهوم اللوغوس وهو لفظ يدل على معانٍ كثيرة من بينها الكلام والنسبة أو المقياس والمنطق وهكذا توجد رابطة وثيقة بين اللغة الفلسفية والبحث العلمي ويترتب على الارتباط مذهب في الأخلاق يرى الخير في المعرفة التي هي حصيلة البحث المجرد عن الهوى.

إن فلسفة اليونانيين تكشف طول مراحلها عن تأثير عدد من الثنائيات وقد ظلت هذه الثنائيات في صورة أو أخرى تشكل حتى اليوم موضوعات يكتب عنها الفلاسفة أو يتناقشون حولها وأساس هذه الثنائيات جميعاً التمييز بين الخطأ والصواب أو بين الخير والشر والانسجام والتنافر أو النزاع ثم تأتي بعد ذلك ثنائية المظهر والحقيقة التي لا تزال حية إلى حد بعيد في يومنا هذا وإلى جانب هذه نجد مسألتي العقل والمادة والحرية والضرورة وهناك فضلا عن ذلك مسائل كونية تتعلق بكون الأشياء واحدة أم كثيرة بسيطة أم معقدة وأخيرا ثنائية الفوضى والنظام والحد واللا محدود. وهناك صلات متبادلة على أنحاء ما بين كثير من هذه الثنائيات. فثنائية الصواب والخطأ قد نوقشت في المنطق أما مسائل الخير والشر والانسجام والتنافر فتنتمي إلى الأخلاق وأما مشكلات المظهر والحقيقة والعقل والمادة فيمكن النظر إليها على أنها هي المشكلات التقليدية لنظرية المعرفة أو الابستمولوجيا وأما الثنائيات المتبقية فتنتمي بدرجات متفاوتة إلى مبحث الوجود/الأنطولوجيا وبطبيعة الحال ليس في هذه التقسيمات فواصل قاطعة بل إن الحدود الفاصلة بينها قد تُعْبر وربما كان عبور الحدود هذا من السمات المميزة للفلسفة اليونانية.

والحق أن الطريقة التي عالج بها الفلاسفة الأوائل هذه المشكلات هي طريقة ذات دلالة بالغة فقد تنحاز إحدى المـدارس إلى أحد طرفي الثنائية ثم تظهر بعدها مدرسة أخرى تثير اعتراضات وتتخذ وجهة النظر المضادة وفي النهاية تأتي مدرسة ثالثة وتقترح نوعا من الحل الوسط الذي يتجاوز الرأيين الأصيلين.

وأخيراً إن ما أعطى اليونانيين مكانتهم الفريدة في تاريخ الفلسفة هو ميلهم لحب الاستطلاع الذي لا يرتوي والذي يدفع المرء إلى القيام بالبحث المشبوب بالانفعال متوخياً أن يكون مع ذلك موضوعياً ونزيهاً.




ظمأى..

شعر: محمود أسد

لــي مــن هــواك وشــايةٌ تتســلَّقُ
هــل ذُقْــتَ حبّــاً في المكائــدِ يُحْـرَقُ؟

لــك موســمٌ مــن راحــتيَّ، ومَبْسَــمٌ
بالطيــب يزكــو، للهُــدى يتــألَّقُ

في مســمعيَّ رســالةٌ، قــد أيقظَــتْ
قمــرَ البهــاءِ، وللجمــالِ تُمَوْسِــقُ

في لحــظِ عينيــكَ الهــوى مُتوسِّــدٌ
والشــعرُ أمســى بالأمــاني يُشْــرِقُ

لم تُبْــقِ لــي إلاَّ ملامــةَ عاشــقٍ
للــذكريات يعــيشُ، فيهــا يغــرق

مــا رابــني نَــزْفُ الوشــايةِ مــرّةً
إلاَّ وجئْتُــك باعتــذاري أشْــهَقُ

مــا عُــدْتُ لــي إلاّ بقايــا شمعــةٍ
قــد ايقظَــتْ فَزَعــي، وهبَّــتْ تطــرُقُ

أوجــاسَ قلــبٍ بالندامــةِ غــارقٍ
ورأى الوعــودَ ســحابةً لا تُغْــدِقُ

للحــبِّ ألــفُ مفــازةٍ محفوفــةٍ
بالشــوق، لكــنَّ اللِّقــا متمــزِّقُ







للــريحِ تُنْصِــتُ حيرتــي ومــدامعي
والمــاءُ يقــرأ غُصَّــتي ويُرقــرِقُ
الــثلجُ يرسُــمُ عُشْــقَهُ بــدموعنا
والنــارُ مــن أحــداقنا تتنشَّــقُ
ألبَسْتُكَ الثوبَ الشفيفَ من الندى
كــم جــاءَني نبــأٌ وكنْــتُ أرتَــقُ
هــل أزْكــي الأعــذارُ فيكَ محبَّتي
أم أنَّــا في غربــةٍ تتعمَّــقُ
أنــتَ السكينةُ إن جفــاني مبســمٌ
وأنــا العليلــةُ مــن رآنــي يرفُــقُ
القلــبُ، مُــذْ جــفَّ الوصــالُ، مفــازةٌ
والــنفس في أحلامِهــا تتملَّــقُ
هــلاَّ ملكــتَ نزيــفَ بــوحِ قصــائدي
تلــك القصــائِدُ بــالهواجسِ تنطِــقُ
طــارَ الحمــامُ إلى مواجِــع قصَّــتي
فــالأمسُ أضــحى بدعــةً تتــأنَّقُ
مــاذا تقــولُ السَّــاقياتُ لحزننــا؟
قــل مــا تشــاءُ فجلُّنــا لا يصــدقُ
أظمــأتَ دمعــي، والحكايــةُ أغلقــتْ
أبوابَهــأ، لم يُجْــدِ فيهــا المنطِــقُ
ظمــأى إليــكَ، ومــا لنــا مــن منهــل
يــا مُنْبــتَ التَّحنــانِ ابــنَ الزنــبُ؟
ربِّــي إليــكَ بســطتُ كــفَّ تضــرُّعي
يــا فــارسَ الإيمــانِ أنــتَ المطلــقُ






أمريكا، هذه الدولة الكبيرة المترامية الأطراف والتي تتألف من اتحاد أثنتين وخمسين ولاية لكل منها إمكانيات تفوق إمكانيات أغلب الدول الأوربية ومقوماتها، والتي كانت قبل خمسة قرون تشكل وسط القارة الواقعة وراء بحر الظلمات، وصارت الآن تشكل عالماً قائماً بذاته، يجابه العالم أجمعه ويتحداه، معطياً له وجهه حيناً، ومديرا له حيناً قفاه.. بعد أن تمكنت من أن تصبح مركزاً للإشعاع العلمي والتقني، والمالي والفني، واللغوي والنووي. واستطاعت أن تتحول من مقر لمربي البقر إلى معسكر لمحاربي البشر. ومن ساحة للمغامرة والبحث عن الثروة إلى بؤرة للمد العدواني والجزر الإنساني. ومن نموذج لممارسة الفردية والتطلع إلى الحرية إلى قطب للفلسفة الذرائعية ومفرداتها النفعية. ومن دفقة عرقية متعصبة وعلمانية متقلبة إلى قبلة للتجمع الصهيودي والترفع الوجودي. ومن محور لاستقطاب عواطف الحالمين وجهود المؤيدين إلى مصدر لاستجرار كراهية المتيقظين واستدرار مؤازرة المتحذلقين...

هذه الدولة الحديثة في نشأتها العمرانية، القديمة في نظرتها العدوانية. والمغالية في تطلعاتها الوجدانية والمتعالية في تصرفاتها الإنسانية. أضحت بعد مجموعة متواصلة من المغامرات والتحديات، وإثر حلقات متتابعة من النزاعات والصراعات، ولايات متحدة تتجلى فيها مجموعة من التناقضات بأبهى أشكالها وأجلى صورها.. فهي واسعة في مساحتها وضيقة في مساحة رؤيتها، متعددة في أعراقها ومتوحدة في أعرافها، مستأنسة في أجناسها ومتوحشة في إحساسها، مادية في ظاهرها وروحانية في بعض مظاهرها، سخية في شعاراتها مخيبة في ممارساتها. براقة في

ألوانها وحراقة في نيرانها. زاهية في ادعاءاتها وتصريحاتها، معتمة في نواياها المضمرة ومخططاتها المبهمة. العلم والعمل فيها أقنومان مقدسان والإبداع شعارهما، واللهو واللغو لديها شعيرتان متناميتان والإمتاع إزارهما. الرياضات غير الشائعة في العالم منتشرة فيها وطاغية على ما عداها، كالجولف والركبي والبيسبول والهوكي والدودج بول والأمريكان فوتبول. والانحرافات غير الشائعة في العالم ميسرة بين جنباتها، ومتفشية حتى في طرقاتها، كسرعة استخدام المسدس واللكمة، وبساطة ارتكاب الجريمة وتناول اللقمة... الصهيوديون فيها يتجمعون ويتعاونون ويسرحون ويمرحون ويضغطون ويؤثرون واليعربيون فيها يتفرقون ويتناثرون، ويمرحون ولا يسرحون، وينضغطون ويتأثرون.. الدولار فيها يعلو على كل ما عداه، والذرائعية لديها هي الشعار الذي لاشعار سواه. الدعايات الانتخابية والتجارية تتساير وتتجاور في واحدة من كفتي الميزان، والخصومات السياسية والتنافسية تتلاقى وتتلاقح في الكفة الأخرى من هذا الميزان. وصراع الحضارات يخفت ويخبو أو يلمع ويلعلع بين ثنايا التلميحات والتصريحات. ونهاية التاريخ معروفة البدايات فيها لكنها مستمرة التطورات ومتسارعة الخطوات، ومحتملة التقلبات، ومجهولة النهايات..

والأمريكيون شعب متنوع المشارب، ومتعدد المواهب، ومتزايد المكاسب ومتصاعد المصائب. حسب ما تدل عليه تركيبته المتناغمة، وتشير إليه إبداعاته المتراكمة، وتنبئ به ثرواته المتعاظمة، وتعلن عنه مخاوفه المتفاقمة..

فمشاربه تتنوع بتنوع انتماءات أفراده، وتتباين بتباين ثقافاتهم، وتتفاوت بتفاوت منطلقاتهم وتوجهاتهم. ومواهبه تتعدد بتعدد الروافد البشرية التي تتوافد عليه، وتتجدد بتجدد أفكارهم وإبداعاتهم، وتتمدد بتمدد إعطاءاتهم وإنجازاتهم. ومكاسبه تتزايد بتزايد استثماره لباقي شعوب العالم، وتتكاثر بتكاثر طغيانه عليها، وتتعاظم بتعاظم عدوانه على مواردها. وأما مصائب هذا الشعب فهي لا تنعكس على أفراده حالياً بقدر انعكاسها على شعوب العالم الأخرى أفراداً وجماعات. وهي مصائب مؤجلة كالديون المؤجلة لا بد من تسديدها يوماً من قبله مهما طال أمدها، وتقادم سندها..

والحياة في أمريكا ميسرة وسهلة إذا اتبع الإنسان النظام، وتمسك فيه بإحكام. ومعقدة وصعبة إذا سار فيها على هواه ولم يتقيد بالممنوعات والمسموحات واعتبرها من الأوهام. والتطور في هذه البلاد سريع ومذهل يلزم المقيم فيها على شحذ فكره باستمرار، وشحن معارفه بدون توقف. وإلا شعر بالضياع وأحس بأن أعداداً متزايدةً من المبتكرات الحديثة تهاجمه وكأنها قطيع من الضباع..

وكل شيء في أمريكا كبير وواسع. المحلات كبيرة، والشوارع واسعة. والمساكن كبيرة، والحدائق واسعة. والدخول كبيرة والأعمال واسعة. والإغراءات كبيرة، والبطون واسعة. والحريات كبيرة وكثيرة، والأنظمة واسعة ورادعة في الوقت نفسه.. والناس العاديون فيها طيبون وبسطاء، خلافاً للمسؤولين الملاعين الخبثاء. ويحار الإنسان كيف يمكن أن ينبثق هؤلاء عن هؤلاء..

وأمريكا قبل ذلك أو بعده هي بلد الشطحات التي تفرز التقليعات في كل المجالات.. والشطحات هي انفراجات في الخيال تفتح للإنسان أو للجماعة الآفاق للجنوح إلى عوالم غير مأهولة، وتهيئ له ولها السبل

للقيام بأعمال غير مألوفة.. والتقليعات هي ممارسات يقلع عن طريقها الفرد أو المجتمع من موقعه، أو يقتلع من واقعه، ويرحل بوساطتها إلى قلاع نائية يقلع فيها عن القيام بأعماله المعهودة. ويلجأ من خلالها إلى نشاطات فريدة..

ولعل تتبع بعض هذه الشطحات والاجتماعية منها بشكل خاص، والتي قد لا تكون معروفة من قبل من لم يقم بزيارة تلك البلاد، والتمعن في التقليعات المفروزة عنها مما وقع مصادفة أو أوقع قصداً في ساحة المرئيات لدينا خلال الزيارة الأخيرة التي قمنا بها لها، والتأمل فيها و في رؤيتنا لها، لعله يلقي بعض الإضاءة على الطريقة التي يفكر فيها الناس هناك بنوعيهما القيادي والانقيادي. أو الفاعل والمنفعل. لكنه لا يغني عن ضرورة متابعة مسار هذا التفكير، ومراقبة مسراه، لكونه يتسم بسهولة التبديل وسرعة التغيير، وقابلية الخضوع للتأثير. وذلك لنتمكن من تحسس معالم الطريق، وتلمس ملامح المصير..

* * *

ومن أولى الشطحات التي تطالع الإنسان في تلك البلاد ما يتعلق منها بالطائرات. ليس فقط لأن رنين الطائرة التي حضر فيها إليها وطنينها يظلان عالقين في ذاكرته فترة تتناسب مع الساعات الطويلة التي أمضاها فوق المحيط للوصول إليها. بل لأن الطائرات معلم بارز من معالم حضارة تلك البلاد وحضورها. فهي قد تشاهد في سمائها في كثير من الأحايين محلقة على ارتفاعات منخفضة حاملة الدعايات التجارية مستغلة إطلالتها من عل لتصبح على مرأى من عدد أكبر من الناس. وقد يتردد رنينها ويتتابع طنينها ويتزايد هديرها خلال ساعات النهار وهي تمخر عباب الفضاء جارة وراءها ذيولاً من السحب مشكلة خيوطاً بيضاء في السماء الزرقاء.. وقد تسمع ضوضاؤها وتشاهد أضواؤها بشكل متوال أو متقطع خلال ساعات الليل وبخاصة إذا كانت إقامة الإنسان في منطقة مجاورة لأحد معامل إنتاجها كما هي الحال في المناطق القريبة من مدينة (سياتل) وغير البعيدة عن معمل طائرات (البوينغ) الواقع في إحدى ضواحيها في أقصى شمال غرب البلاد. أو كانت قريبة من إحدى مطارات المدن الكبيرة كمطار (شيكاغو) مثلاً الذي تزأر محركات طائراته وتلعلع أصواتها على مدار الساعة وتظهر بهياكلها العملاقة وأشكالها البراقة للعيان خلال فترة الإقلاع أو الهبوط بشكل مهيب ومخيف. أو كمطار (ميامي) الذي يوجد في وسط المدينة بالشكل نفسه الذي توجد فيه محطات القطار عادة في وسط المدن وتتحلق حوله الأحياء السكنية والمرافق العامة والخاصة وتزعج المقيمين فيها والمترددين عليها والمتعاملين معها .. أو كانت هذه الإقامة ليست بعيدة عن أحد المطارات الخاصة المتناثرة في أرجاء البلاد والتي يستخدمها أصحاب الملايين والبلايين للارتفاع أو الترفع عن الآخرين في جميع الميادين..

ويعود الاهتمام بالطيران في تلك البلاد إضافة إلى غريزة العدوان التي تضج بها قلوب قادتها وساستها إلى بعد المسافات بين ولاياتها ومدنها من جهة وبعدها جميعها عن المناطق الأخرى المأهولة في العالم ووجود محيطات واسعة وشاسعة تفصل بين شواطئها وشواطئ الدول الأخرى من جهة أخرى..

وتضم الطائرات التي تحلق فوق المدن غالباً أعداداً كبيرةً من الأنواع الحوامة (الهيلوكوبتر) والتي تستخدم، إضافة لمهامها الخاصة، في عمليات النقل الداخلي. كما تستخدم لمراقبة أوضاع السير على الطرقات

العامة. وتقوم بمهمة مساعدة شرطة المرور ومساندة سيارات البوليس التي تلاحق المجرمين، والذين تغص بهم شوارع الطرقات في مختلف الولايات..

والأمر الطريف في هذا الموضوع أن قائدي هذه الطائرات يقومون بحساب كميات المحروقات التي تستهلكها طائراتهم إلى أن يتمكنوا من القبض على من يلاحقونهم من المجرمين ويعمدون بعد ذلك إلى تحميلهم أثمانها مع باقي نفقات الطيران خلال فترة الملاحقة. حيث يضاف ذلك كله إلى الغرامات التي يحكم بها عليهم من قبل المحاكم المختصة..

ويذكرني موضوع تحمل هذه النفقات بقصة طريفة رواها لي أخ شقيق حصلت معه في أثناء إعداده لشهادة الدكتوراة في لندن خلال فترة السبعينيات من القرن الماضي. حيث أضطر مع زوجته إلى ترك إبنتيهما في المنزل لوحدهما بعد أن أخبراهما بأنهما ذاهبان لزيارة بعض أصدقائهما وأنهما سيعودان الساعة التاسعة مساءً. وكانت كبرى الإبنتين في العاشرة من عمرها والصغرى في الثامنة منه.. وقد فوجئ الأبوان لدى عودتهما بحدود الساعة العاشرة وبعد أن تأخرا عن الموعد الذي ضرباه لابنتيهما بحوالي ساعة بوجود سيارة إطفاء بجوار البناء الذي كانا يقيمان فيه، كان السلم الخاص بها موجهاً إلى الشرفة العائدة إلى منزلهما الواقع في الطابق الثالث من ذلك البناء..

ولقد أصيبا بهلع شديد زالت بعض معالمه بعد أن تبين لهما لدى استيضاحهما الأمر بأن ابنتيهما قامتا بالاتصال بشرطة النجدة بعد نصف ساعة من تأخرهما عن الموعد الذي ضرباه لهما حسب ما سبق أن تلقياه في المدرسة التي كانتا تنتسبان إليها في تلك المدينة بضرورة الاتصال بهذه الشرطة في حال تأخر الأهل لمدة نصف ساعة عن الموعد المحدد. وأن شرطة النجدة استعانت بسيارة الإطفاء للدخول إلى المنزل من شرفته باعتبار أنه وزوجته كانا قد قفلا باب البيت من الخارج خوفاً من خروج ابنتيهما أو دخول أحد إلى بيتهما خلال فترة غيابهما..

ولم يكن الرعب الذي أصاب شقيقي وزوجته هو نصيبهما فقط من هذه الحادثة. وإنما بالإضافة إلى شعورهما بسقوط قلبيهما من صدريهما من لحظة حضورهما إلى بيتهما وحتى معرفتهما بحقيقة الأمر، كادا أن يتكبدا بحدود خمسمائة جنيه استرليني تكاليف ما تحملته الشرطة والإطفاء من نفقات مع الغرامات التي ترتبت عليهما لقاء ذلك ولكن المحكمة المختصة التي اضطرا للمثول أمامها بعد عدة أيام أعفتهما من هذه النفقات والغرامات تقديراً منها بعدم معرفتهما بالأنظمة السارية في تلك البلاد لكونهما أجنبيين عنها..

ويبدو أن الإجراءات التنظيمية والمالية منها بشكل خاص، في الدولتين الواقعتين في القارتين المتباعدتين على طرفي الأطلسي هي إجراءات مشتركة. ولعل للجسر اللغوي الواصل بينهما عبر هذا المحيط دوره الفعال الذي يدفعهما إلى التناغم عاطفياً وإجرائياً وعسكريا أيضاً كما حصل عند اتفاقهما على غزو العراق رغم إرادة العالم بأجمعه.. لكن اهتمامات الدولة الواقعة خلف بحر الظلمات منهما في المواضيع الجوية تفوق الأخرى بل تفوق كل دول العالم مجتمعة.. فهي التي قامت بالقصف الجوي لهيروشيما وناغازاكي بالقنابل الذرية في نهاية الحرب العالمية الثانية. وهي التي تحاول أن تحرز قصب السبق في غزو الفضاء، وفي إقامة الدرع الجوي الواقي، وفي نشر أقمار التجسس العابرة للقارات، وفي بيع

الطائرات لأصدقائها أو في نشرها في قواعدها العسكرية في مختلف أنحاء العالم، أو إهدائها لحلفائها وبخاصة إلى الكيان الصهيودي، أو إقامتها للجسور الجوية كما حصل خلال حرب تشرين التحريرية، أو بقصفها بوحشية للدول التي لا تسايرها في سياستها أو للدول التي تطمع في ثرواتها كما حصل في الحرب الكورية وحرب فيتنام سابقاً والحرب العراقية وحرب أفغانستان لاحقاً. لذلك كانت وحدها التي تلقت الضربة الجوية في الحادي عشر من أيلول في مطلع الألفية الثالثة والتي لن تنسى رنينها ولا طنينها إلى زمان طويل ..

* * *

ومن الشطحات التي تنفرد بها هذه البلاد على ما نعتقد تقليد موجود لدى بعض الجامعات فيها. يقوم بموجبه بعض طلابها وطالباتها بخلع ملابسهم والدوران عراة حول المدينة التي توجد الجامعة بها، وذلك اثر حصولهم على شهاداتهم الجامعية مباشرة إعراباً عن فرحهم بهذه المناسبة. فقد روي لنا في أثناء زيارتنا لمدينة (أناربر) ANNARBER وهي مقر جامعة (متشيجن) الأهلية وتبعد حوالي خمسين ميلا عن مدينة (ديترويت)، وهي غير جامعة متشيجن الرسمية التي تقع في (لانسنغ) عاصمة ولاية متشيغن وتبعد حوالي ثمانين ميل عن (ديترويت) اكبر مدنها، بان أغلب الطلاب والطالبات يتمسكون بهذا التقليد ويقومون بممارسته رغم محاولة السلطات منعهم من ذلك في الفترة الأخيرة..

ويعتقد أن فكرة خلع الملابس القديمة ورميها تشير إلى انتهاء مرحلة من مراحل العمر وابتداء مرحلة أخرى تتطلب لباساً أخراً مختلفاً عن سابقه. كما يعتقد أن فكرة التعري بحد ذاتها يقصد منها ابتداء هذه المرحلة الجديدة بشكل مشابه لبداية المولودين حديثاً، والذين يخرجون من بطون أمهاتهم عارين تماماً مخلفين وراءهم المحيط الذي ضمهم خلال فترة تكوينهم. مقبلين على الحياة الجديدة بجهودهم الذاتية وإمكانياتهم الفردية..

ومدينة (أناربر) مدينة جامعية بكل معاني هذه الكلمة حيث لا تكاد تحتوي إلا على الجامعة التي تتناثر أبنيتها الضخمة في أنحائها كما تتناثر بين هذه المباني وعلى محيطها المرافق الخاصة من ملاعب ومقاصف ومساكن جامعية للطلاب كما تتوزع في باقي مناطقها منازل أساتذتها الفخمة والأنيقة والمنازل الجميلة الأخرى التي تتوضع ضمن الغابات الكثيفة ذات الأشجار الباسقة والتي تتدرج ألوان خضرتها وحمرتها وصفرتها وتتداخل مع ألوانٍ أزهارها وتكسبها تناغماً جميلا وتناسقا رائعاً.. ويقوم أصحاب هذه المنازل بتأجيرها للطلاب الكثيرين الذين يؤمونها من مختلف أنحاء العالم والذين يقارب عددهم الأربعين ألف طالباً..

ويبدو أن تقليد خلع الملابس منتشر ليس في بعض الجامعات فقط وإنما في بعض المعاهد ذات المستوى التعليمي الأقل. فقد شاهدنا بأم أعيننا على شاشة التلفاز قيام أحد طلاب هذه المعاهد في مدينة (فيلادلفيا) عاصمة ولاية (بنسلفانيا) كان يرتدي روب التخرج الأسود المميز مع الطاقية الموشورية الخاصة به حيث قام بخلعهما معاً فور استلامه لشهادته من اللجنة المختصة وقبل نزوله من المنصة المرتفعة التي كان توزيع الشهادات يجري عليها. وكان هذا الطالب لا يرتدي شيئا تحت الروب فظهر عارياً كما ولدته أمه. ثم نزل من على المنصة ورفع الشهادة التي استلمها وأخذ يجري في القاعة الصيفية المكشوفة التي كان حفل التخرج يقام فيها بين تحية بعض الحاضرين له عن طريق التصفيق والتهليل

واستهجان البعض الآخر لفعلته عن طريق الصراخ والتصفير. وقد ذكرت المحطة التلفزيونية التي أوردت هذا الخبر عدة مرات في يوم حدوثه أن عمر الشاب الذي قام بهذا العمل يقل عن الثامنة عشرة ويعفيه من التعرض لعقوبة من يتعرى أمام الناس في هذه الولاية والتي تتراوح بين سجنه لمدة ستة أشهر إلى سنتين ويفرض عليه عقوبات مخففة.

ويبدو أن هنالك اختلافاً في عقوبات التعري الكامل في الأماكن العامة بين الولايات المختلفة التي تتألف منها هذه البلاد. وأما التعري الجزئي بمعنى الظهور بالملابس القصيرة والمثيرة والشورتات في شوارعها العامة فهو كثير الانتشار. كما أن شهية الناس للتعري هناك يبدو أنها مفتوحة. وأنه ليس لدى قسم كبير منهم موانع شخصية من القيام به لو طلب منهم ذلك، أو حتى من غير هذا الطلب. والحديث يدور حول الأماكن العامة ولا يقصد به الأماكن الخاصة والتي لا يوجد قيود حول منع ممارسته فيها مما جعله ينتشر بين جنباتها على قدم وساق أو بالأصح على قدمين وساقين كما هو حاصل في نوادي العراة وأماكن اللهو وبعض المطاعم والتي تخدم فيها جارسونات عاريات الصدور أي بدون (طوق) علوي..

ولعل من أبرز مؤشرات التساهل الشديد في التعري وفي الأماكن العامة في بعض الولايات البرامج التلفزيونية التي تتعمد إدخاله ضمن فقراتها ومنها برنامج يطلق عليه اسم **Dog eat Dog** يشارك فيه عادة ثلاث متسابقات وثلاثة متسابقين يتنافسون على الحصول على جائزته المحددة بخمسة وعشرين ألفاً من الدولارات. وتدور فكرته حول محاولة كل من المتنافسين إبعاد الآخرين حتى يتمكن لوحده الفوز بهذه الجائزة. وتتخلل كل حلقة من حلقات هذا البرنامج ألعاب صعبة ولا تخلو من الخطورة وتتطلب قوة جسدية ومرونة حركية كبيرة تدور في جو قاعة فسيحة نصبت فيها هذه الألعاب كما تدور في مسبحٍ عميقٍ يقع تحتها. ويربط كل من المتسابقين بحزام في خصره يحميه في حال فشله في إحدى هذه الألعاب من الارتطام بالأرض كما ويسحبه من قاع المسبح في حال إشرافه على الغرق. والحركات التي تؤدى في هذه الألعاب خطرة وتشابه تلك التي تعرض في السيرك وتتطلب من المتسابقين الجرأة الكبيرة والمغامرة المثيرة كما تطلب منهم ارتداء المايوه والبقاء فيه خلال فترة قيامهم ببعض هذه الألعاب وأما الفقرة التي تظهر فيها الشطحات الأمريكانية بنكهتها الخاصة وباتجاه العري هذه المرة فهي تلك التي يقوم بها المتسابق أو المتسابقة بخلع قطعة من ملابسه في حال عدم إعطائه الإجابة الصحيحة على الأسئلة التي تطرحها عليهما مقدمة البرنامج، نصف العارية، إلى أن يصبحا عاريين تماما عند عدم إجابتهما على عدد معين منها. وأما إذا رفض أحدهما خلع القطعة الأخيرة من ملابسه وقام الآخر بذلك فينجح بذلك الـ **Dog** بأكل المتسابق أولـ **Dog** الآخر. وعليه الاستمرار بأكل بقية المتسابقين أو الـ **Dogs** عن طريق تفشيلهم في الإجابة عن الأسئلة التي تطرحها مقدمة البرنامج عليهم..

وتذكرني هذه المناظر، كما يذكرني منظر قيام ذلك الشاب بنزع ملابسه فور تسلمه لشهادته بمنظر يلازم ذكريات الطفولة في الحي الذي كنت أقيم فيه على سفح الجبل بالمدينة التي ارتبطت به وارتبط بها، والتي كانت مسقط رأسي وأصبحت مسقط قلبي. إذ كان يهيم في شوارع هذا الحي التي تتسلق شعاب الجبل

وتتحلق فوق قاعدته شاب في مقتبل العمر اعتاد أن يلبس قنبازاً عريضاً وأن يقوم برفعه والكشف عن عورته كلما نادى عليه واحد من الأطفال بكلمة (شالحة) وهو اللقب الذي درجوا على نعته به تقليداً لمن هم أكبر سناً منهم والذين كان يحلو لهم أن ينعتوه به.. ولقد لمست خلال وجودي في تلك البلاد أن هنالك فئات كثيرة من مواطنيها تحاكي تصرفات ذلك الشاب ويقوم أفرادها بخلع ملابسهم والكشف عن عوراتهم دون أن ينادي أحد عليهم بهذا اللفظ.

وإذا كان هنالك ارتباط بين العري وبين التحفيز على العناية بالأجساد حتى لا تنكشف عيوبها حسب الفلسفة اليونانية القديمة حيث كان الوقار شعاره والفجور أبعد ما يكون عنه. كما كان غالباً ما يطلب من العزاب أن يمشوا عرايا بسبب مخالفتهم لقوانين البلاد وعدم إقدامهم على الزواج فإن السؤال الذي يطرح نفسه عن سبب عدم انعكاس العري الجسدي على السمو الروحي في هذا الزمان كما كان يعتقد قدماء اليونان. وسبب اقتصار هذا العري على اقتناص اللذائذ واصطياد المتع عن طريق العودة إلى شريعة الغاب كما يفعل الأمريكان وباقي العريان.

* * *

ونهبط من حديث الطيران وتداعياته وحديث العري وملابساته إلى حديث يتعلق بارتباط الإنسان بالحيوان وانعكاساته على مفهوم العطف والحنان لدى الأمريكان. ومن أغرب الشطحات التي شاهدناها بهذا المجال في إحدى البرامج التلفزيونية المتخصصة، وفي حلقة من حلقات العناية بالحيوانات المنزلية والذي يحمل عنوان (هذا إبني) (That is my baby). فهي إقامة حفلة عرس على درجة كبيرة من الفخامة والبذخ لعقد قران الكلب (جيسي) على الكلبة (جاسيا).. حيث ألبس (جيسي) بذلة سهرة سوداء رسمية يتصدرها (البابيون) حول رقبته. بينما ألبست (جاسيا) فستان عرس مبتكر أعده أحد كبار مصممي الأزياء. وأجلسا على (الأسكي) المؤلف من كرسيين عاليين مفصلين خصيصاً لهما. بينما كان المدعوون من الكلاب وأصحابهم يتناثرون في قاعة العرس الفسيحة ويرتدي الذكور منهم الملابس الرسمية بينما ترتدي الإناث ملابس السهرة كلاباً وبشراً. وأديرت عليهم جميعا كؤوس الشراب ثم خاصر كل كلب كلبته وكل صاحب كلب صاحبته وأخذا بالرقص على أنغام موسيقى هادئة حيناً وصاخبة حيناً أخراً..

ووصل الحفل إلى ذروته عند حضور موثق العقود الذي لم يكن كلباً هذه المرة وإنما كان موثقاً بشرياً قام بسؤال كل من (جيسي) و (جاسيا) على حدة فيما إذا كان كل منهما يرضى بالآخر زوجاً له. ولما ردا بهزة من رأسيهما أرفقاها بنبحة ذات جرس معين دلالة على الموافقة. قام موثق العقود بعقد قرانهما وبمباركتهما. ثم قام كل من العريسين بإلباس الآخر خاتم الزواج. كما قام (جيسي) بإلباس (جاسيا) طوقاً ماسياً ثميناً في رقبتها وبطبع قبلة على شفتها بادلته إياها بحب ظاهر. وقام والدا العريسين بعد ذلك بتقديم الهدايا لهما كما قام أقاربهما وأصدقاؤهما بتقديمها أيضاً وتوجه الجميع إثره إلى المائدة الرئيسية وقطع العريسان قالب الكاتو المتعدد الطبقات الذي أعد خصيصاً بمناسبة الحفل وقاما بتوزيع قطع منه على الحاضرين. وبعد انتهاء الحفل وضع العريس يده بيد عروسه ثم توجها إلى الخارج وركبا سيارة (الليموزين) التي كانت تنتظرهما أمام باب الفندق الذي أقاما الحفل فيه وتوجها لقضاء شهر العسل بينما كان أهلهما وأقرباؤهما وأصدقاؤهما يرمونهما بالورود

ويلقون عليهما تحيات الوداع وتمنيات السعادة..

الأمر الطريف في الموضوع أن إحدى القنوات التلفزيونية قامت في ليلة الانتخابات لرئاسة الجمهورية الأمريكية في ٢/١١/٢٠٠٤ بعرض تمثيلية تلفزيونية طويلة أطلقت عليها عنوان هذا البرنامج مع تعديل الكلمة الأخيرة منه فقط بحيث أصبح هذا العنوان (هذا بوشي) بدلاً من (هذا ابني) تهكمت فيه على الرئيس (بوش) بشكل كبير وقامت من خلاله بتصوير حياته العائلية بأسلوب هزلي. وتعرضت عن طريقه إلى المساجلات والمشاحنات التي تدور بينه وبين زوجته وحماته وبعض موظفي البيت الأبيض بطريقة تهريجية أظهرته كجرو أو هارون منزلي مدلل يتبادل اللمسات والمداعبات والطبطبات والخرمشات مع أفراد المنزل والضيوف ولا يتوانى عن استعمال مخالبه عند الحاجة.. وبرغم هذا المسلسل أو بسببه. وبسبب أن أكثر من نصف الأمريكيين بقليل يحبون الكلاب. ويفضلون الشرسة منها على الأليفة فقد نجح ابنهم (بوش) في هذه الانتخابات بشكل استعراضي احتفالي غير مستغرب..

وعودة إلى حفلة العرس الكلبية. فقد توارد إلى ذهني خلال مشاهدتي لها حديث دار بيني وبين أحد الخبراء الألمان الغربيين الذي أقام في بلدنا مدة طويلة من الزمان عندما سألته عن أهم ما لفت نظره خلال فترة إقامته فيها. حيث أورد في إجابته العديد من الملاحظات كان من ضمنها أنه يستغرب عدم اهتمام مواطنينا بتربية الحيوانات المنزلية، ويعجب لإطلاقها في الشوارع دون رقيب أو معين. وأن هذا إذا كان يدل على شيء فإنه يدل على عدم توصل هؤلاء المواطنين إلى تقديم العواطف الخالصة للكائنات الأخرى دون مطالبتها بمقابل لها كما يفعلون عند تبادلهم هذه العواطف مع نظرائهم من بني البشر..

ولقد بذلت الكثير من الجهد وقتئذ لتفنيد تلك المقولة، ودحض هذا الاتهام الجائر، واندفعت لإعلام ذلك الخبير بأن بني البشر أحرى من الكائنات الأخرى في توجيه الاهتمام إليهم، وتبادل العواطف معهم. وأن البث والتلقي هو من طبيعة البشر لأن الحياة أخذ وعطاء. وأما الأخذ فقط كما يمارس الغربيون مع شعوب الشرق. والعطاء فقط كما يمارسون مع الكائنات الأخرى فهو موضوع غير إنساني وينم عن إشباع مادي وترف عاطفي. لأن اهتمامات الإنسان يجب أن توجه أولا إلى أفراد بني جنسه لا أن تتعداها وتقفز فوقها وتوجه إلى الأنواع الأخرى. وذكرت له بأنه لو كف الغرب عن استغلال الشرق أو قلّص هذا الاستغلال بمقدار المبالغ التي ينفقها على تربية الحيوانات المنزلية فقط. لاستطاع الشرق التغلب على مشاكله الاقتصادية باستخدام هذه المبالغ ولخففت معاناة شعوبه بشكل واضح..

كما توارد هذا الحديث مرة أخرى إلى ذهني لدى زيارتي في المدينة التي كنت أقيم فيها في أمريكا لأحد المحلات التجارية الكبيرة والأنيقة والتي تأخذ طابع (السوبر ماركت) حجماً وشكلاً وتجهيزاً وتخصص لبيع مستلزمات العناية بالحيوانات المنزلية من غذاء ودواء وكساء. والمحل على غاية من الأبهة والفخامة وهو معد بشكل مشابه تماما للسوبر ماركات التي تبيع المستلزمات البشرية المختلفة..

والتقليعة البارزة فيه أن صاحبه وضع على مدخله لافتة كبيرة كتب عليها عبارة (ممنوع دخول البشر إلا مع حيواناتهم) وكأنه ينتقم بهذا الكلام من الإعلانات التي كانت تعلق على مداخل بعض المحلات والتي تنص على منع دخول الحيوانات المنزلية. والتي كانت

تضيف كلمة (والسود) إليها أحياناً وقبل زمن ليس بالبعيد. وإذا كان بعض أصحاب محلات بيع مستلزمات الحيوانات المنزلية قد ردوا اللطمة بمثلها وانتقموا لمشاعر هذه الحيوانات التي سبق هدرها. فإن السود وأمثالهم من سكان هذا العالم لا يتمكنون من منع الغربيين البيض من الدخول إلى محلاتهم في بلادهم، أو منعهم من الدخول إلى بلادهم نفسها حيث لا يزال هؤلاء البيض يعاملون سكان هذه البلاد الأصليين وكأنهم كلاب أولاد كلاب في بعض المناطق وبعض الأحيان ..

* * *

ويقود حديث التعري وملابساته، وحديث الاهتمام بالحيوان وتداعياته، إلى التركيز على ممارسات العري المشتركة بينهما، والتي تبدو كثيرة الوضوح وشديدة التميز في تصرفات الأمريكان في هذا الزمان. وتتيح متابعة برامج التلفزيون الإطلاع بشكل أوسع على التقليعات الغريبة التي تضج بها تصرفات الناس في هذا المنحى، والتي أصبحت عادية بالنسبة لشريحة واسعة منهم. ذلك لأن التلفزيون هو المرآة التي تنعكس عليها أفكارهم ورؤاهم، وتظهر من خلال ملامح المجتمع وقسماته، وإيجابياته وسلبياته..

وإذا كان الكثير من البرامج التلفزيونية تحاول كشف العري الأخلاقي وفضح العري المصلحي المرتبط به فإن هنالك برامج مقابلة كثيرة أيضاً تقوم بالتركيز على العري الجسدي واظهار العري الروحي الملازم له عن طريق تسليط الأضواء الكشافة على خفايا المجتمع الامريكي وسلبياته.. منها برنامج مشهور يدور حول إبراز المشاجرات والمنازعات التي تجري بين أفراد هذا المجتمع مع تتبع الأسباب الدافعة إليها. وتظهر حلقات هذا البرنامج اليومي الواقع المنحط الذي تعيشه الشريحة الكبيرة التي تشكل قاع هذا المجتمع الذي يفتقد إلى سقف حام له ورادع لتصرفات أفراده. وسنقوم في (الشطحة) الأخيرة من هذا الحديث بوصف ما ورد في إحدى حلقات هذا البرنامج بإيجاز لمجرد إعطاء فكرة عن الفراغ الروحي المريع الذي تعيشه هذه الشريحة..

والحلقة بعنوان (زوجي عاشر جميع أفراد أسرتي) **My family slept with my man** وهي منقولة تلفزيونيا من مسرح يتسع لحوالي ثلاثمائة متفرج تقع خشبته في مكان غير مرتفع كثيراً في مركزه وبشكل يتحلق حولها المتفرجون بمقاعد متناثرة ولكنها متقاربة وليست متجاورة ولا مرتبة في صفوف كما في المسارح التقليدية بحيث يبدون وكأنهم امتداد للممثلين. أو كأن الممثلين جزء منهم وغير منفصل عنهم..

والمسرحية تقوم على إقدام أحد الشباب ذي الملامح الرياضية والعضلات المفتولة والمظهر الجنسي المميز على الزواج من فتاة جميلة وإنجاب ابنة منها. لكنه لجأ خلال السنتين التين قضاهما معها إلى إغواء أو الاستجابة لإغراء النساء المقربات من زوجته ابتداءً من أختها الجامعية التي تصغرها بعدة سنوات أو زوجة أخيها البالغة بحدود الأربعين عاماً وابنته منها البالغة بحدود العشرين عاما وانتهاءً بأمها التي تبلغ بحدودِ الخمسين من عمرها وقام بمباشرتهن جميعاً..

وتبدأ المسرحية بمشادة عنيفة بين الفتاة المتزوجة وأختها الجامعية والحامل والتي لا تعرف إذا كان حملها من زوج أختها أو من صديقها (البوي فريند) الخاص بها والذي تعاشره منذ عدة سنوات. وتقوم الأختان بتبادل أقذع الشتائم وأبشع النعوت كما تقومان بالتدافع الشديد على خشبة المسرح تبدي خلاله الأخت بأنها تحب زوج أختها أكثر مما تحب صديقها. وأنه هو يبادلها الحب أيضاً. وأنها على استعداد لأن تتخلى لأختها عن صديقها.

لقاء أن تتخلى أختها لها عن زوجها.. ويحضر الزوج خلال هذه المشادة ويؤكد كلام الأخت بأنه يحبها لأنها تقدم له المتعة أكثر مما تقدمه له زوجته منها. ويأخذ بتقبيل الأخت أمام الزوجة التي تثور ثائرتها وتهجم عليه وتصفعه على وجهه بشدة وتركله بقدمها بقوة. كما يحضر صديق الأخت ويشارك في المشادة أولاً ثم يوافق على عرض صديقته بتبادل المواقع بينه وبين زوج أختها..

ويحضر بعد ذلك أخو الزوجة ومعه زوجته وابنته. ويتفاجأ الأخ بخيانة زوجته له وبقيام زوج أخته بمعاشرتها ومعاشرة ابنته أيضاً ويهجم على هذا الزوج ويأخذ بتبادل اللكمات معه. ويدافع زوج الأخت عن نفسه بأن زوجته هي التي عرضت نفسها عليه بسبب تقصيره عن إرضائها جسدياً. وكذلك ابنته التي تحب التغيير والتبديل بدلالة أنه ليس لها صديق ثابت. وتحضر أخيراً الأم وتحصل مشادة عنيفة بينها وبين ابنتها التي تنعتها بأبشع الأوصاف. وتقول الابنة لأمها بأنها يمكن أن تغفر للجميع فعلتهم الشنيعة ولكنها لا يمكن لها أن تغفر لأمها ذلك. وتسألها بحرقة كيف سمح لها قلبها بأن تقوم بهذه الفعلة مع زوج ابنتها فتقول الأم بأسىً لأنها ضعفت أمام رجولته وأمام حاجتها الجسدية بعد أن هجرها زوجها ثم طلقها وتزوج عشيقته. وتحاول الأم الاعتذار واحتضان ابنتها لكن الابنة ترفض ذلك بشدة وتستدير نحو زوجها وتمسك بخناقه وتسأله لماذا فعل ذلك مع أمها فيجيبها ببرود واستخفاف لأنه وجد لديها الرغبة كما وجد لديها الحنان الذي يفتقده لديها. فتنهال عليه بالضرب والشتم بينما تحاول أختها الدفاع عنه في الوقت نفسه الذي ينهال أخوها بالضرب على زوجته وابنته اللتين تحاولان الدفاع عن نفسهما. ويختلط الحابل بالنابل ويقوم جميع الموجودين على المسرح بتبادل الشتائم والصراخ أو الضرب كما يمتد الهياج إلى المتفرجين الذين ينقسمون إلى فئتين إحداهما تناصر الشاب الذي سطا على نساء العائلة وعاشرهن والأخرى تعارضه. وينقلب الهياج إلى تدافع وتشابك ولا يوقف هذا الهرج والمرج إلا عزف النشيد القومي فيقف الجميع عن العراك والصراخ وبمجرد انتهاء عزفه يعودون إلى ما كانوا عليه إلى أن يوقفهم معد البرنامج معلناً انتهاء الفصل الأول..

ويبدأ الفصل الثاني من المسرحية بحوار ساخن بين جمهور الحاضرين وبين الممثلين حول الأدوار التي قام بها كل منهم ورأي بعض الحضور فيها. فمنهم أي من الجمهور من يهاجم الزوج أشد الهجوم ويصفه بالغرائزية المفرطة. ويطلب منه الانتقال من بينه والإقامة في حديقة الحيوانات المجاورة للمسرح وبين عائلة قردية أو خنزيرية إذ يمكن له بهذه الطريقة القفز على إناث العائلة بالشكل الذي يريد. بينما يصفه واحد أخر من الحاضرين بأنه بطل **Hero** ويقول بأنه لو كان مكانه لقام بما قام به وأكثر.. كما أن إحدى النساء الحاضرات المتقدمات في العمر نسبياً تخاطب الأم قائلة وهي تكشف عن صدرها. هل صدرك أجمل من صدري لذلك تمكنت من إغواء زوج ابنتك؟ فترد الأم وهي تكشف عن صدرها أيضاً بأنه أجمل فعلاً. وينقسم الجمهور إلى قسمين كل من أفرادها يصوت على التي يرى أن صدرها أجمل من الأخرى. وكذلك يفعلون بالنسبة لأعضاء الإثارة الأخرى في أجساد الممثلين الآخرين ليتعرفوا عن أسباب تعلقهم ببعضهم..

ويتدخل مقدم البرنامج بين الحين والحين في مجريات الحوار والخصام. وقد يقوم بتفعيل النزاع القائم عن طريق هذا التدخل. إذ غالباً ما يثير أحد الأطراف على الآخر. أو يثيرها كلها على بعضها. أو يشجع الجمهور للتعليق على الحوار الدائر بين الممثلين. أو يحمس بعضاً

منهم للتصدي للبعض الآخر ويبدو كمن يصب الزيت على النار، أو كمن يقدح الأحجار ببعضها لينطلق منها الشرار. ويستمر العرض بهذا الأسلوب المبتذل السافر إلى أن ينفض السامر..

الأمر المثير، ولكن غير المستغرب، أن مقدم البرنامج ومدير الحوار فيه هو ممن يدعون أنهم من أبناء سام شكلا وموضوعا. وأن تسخينه للحوار وصبه الزيت على النار ليس غريباً عليه فهو الشغل الشاغل لأبناء العقيدة التي ينتمي إليها والذي لقنته لهم أحبارهم وحاخاماتهم على مدار التاريخ. وأما الأمر الخطير، فهو قبول الناس في الدولة التي تتصدر مسيرة العالم حالياً لهذا النوع من التدمير الخلقي وللأشكال الأخرى المنبثقة عنه ومحاولة فرضها على العالم أجمع باسم النظام العالمي الجديد وهذا الأمر غير مستغرب ما دامت هذه الدولة قد جعلت من نفسها (انكلاً) لمن يقوم بتوزيع الأدوار وتسخين الحوار وصب الزيت على النار..

وكثيراً ما توارد إلى ذهني وتداعى إلى ذاكرتي خلال مشاهدتي لبعض حلقات هذا البرنامج ما حدث معي في الماضي البعيد في مدينة (كوبنهاجن) عاصمة (الدانمارك) عندما اضطررت بسبب عدم حجزي المسبق في أحد الفنادق العادية إلى النزول في فندق مشبوه مجاور لمحطة القطار فيها وهي منطقة غالباً ما تكون سيئة السمعة وكثيرة المشاكل في أغلب الدول الأوروبية..

ولما حاولت الركون إلى النوم في الغرفة التي حللت بها فيه للتخلص من التعب الشديد الذي كنت أعاني منه بسبب سفري المتواصل لساعات طويلة من أقصى شمال البلاد إلى عاصمتها الواقعة في جنوبها. فوجئت بأصوات ضحك صاخب وموسيقى مرتفعة صادرة عن الغرفة المجاورة للتي كنت أنام فيها. وقد اضطررت بعد فترة من استمرار ذلك الضجيج إلى الطرق لعدة مرات بقبضة يدي على الجدار الفاصل بين الغرفتين لتنبيه الموجودين في الغرفة الأخرى إلى ضرورة الكف عنه، سمعت إثره طرقاً شديداً ليس على الجدار نفسه. وإنما على باب الغرفة التي كنت أقيم فيها. ولما فتحت ذلك الباب وجدت على عتبته عملاقاً مفتول الذراعين تفوح رائحة الخمر من فمه متخذاً وضعية الاستعداد للملاكمة عن طريق ضم قبضتي يديه وتحريك كتفيه وساعديه مشعراً برغبته في العراك. وقد بادرني قائلا بلغة إنكليزية ذات لهجة أمريكية شديدة الوضوح Hi Guys .. do you want to fight أي مرحباً يا زلمة (يا فتى) هل تريد أن تعارك ؟ ولما أجبته بحكمة بأنني لا أريد العراك وإنما أريد النوم. أجابني بتقرير بأنه وأصدقاءه يمضون وقتاً جميلاً في غرفتهم وأن علي إما مشاركتهم سهرتهم أو أن أسكت. ولما قلت له أنني تعب ولا أستطيع مشاركتهم ولكنني أرجو أن يخفضوا من أصواتهم حتى أتمكن من النوم أجابني وهو ينسحب إلى غرفته we will try but I don't promise أي سنحاول ولكن لن أعدك بذلك..

وإذا كان ذلك الشخص قد حقق نسبيا ما وعد به ولم يعد إلى الضجيج بشكل كبير. لكن المجتمع الذي ينتمي إليه لم يكف وعلى مدار تاريخه الحديث ولا يكف بعد الحادي عشر من أيلول تحديدا والذي افتعله افتعالا، ليس فقط إلى ملء العالم ضجيجاً وصراخا، وزعيقاً ونعيقاً، بل إلى ملء العالم، والعربي والإسلامي منه بشكل خاص، إثماً وإفكا، وقصفا وعدوانا. وبعداً عن أحكام عقلنة القوة. وجرياً وراء أوهام هيمنة السلطة، وسلطنة السطوة. وقد آن لهذا العالم العربي أن يعود إلى سابق عهده. وأن يعاود الصحوة ويقلص ما بينه وبين الآخرين من فجوة. فذلك وحده هو طريق البقاء. وعليه يتعلق الرجاء.




الرجل الذي يبحث عن الطفولة

شعر: مصطفى أحمد النجار

العصافير امتداد لرؤاي[1]
والفراشات ابتداء لتلاوين خيالي
لا.. فلا توقظ شياطين شقاي
فأنا أتكاثر في حلمي
أتجدد، تلبسني الأزهار، وذكرى بلدتنا
صبيتها وعذاراها
وجنان تحضن في حضرتها (منبج) والشعراء
فأنا أتجدّد في حلمي
هذا الحلم الهارب من سيف الأوقات
الداخل في عصبي وشما
ولذائذ روح، وسحابات خضرا
ظللت القلب الواني، المرتعش الأحداق
الملتهب الأقدام، المحموم الإيقاع!
هذا حلمي قد جاوزني
وتحادث عند الشفق الشرقيْ
بمواويل صبيْ
ببقاياه في البيت العربيْ
ودواليه الخضراوات
بمدارسه الأولى المزروعة في الأحياء الشعبيه
بتأمّله الباكر
بتفتّح أول حب، أول ورده
بأمانيه الممتدّة
بالعبث الطفليّ وبالرحلات إلى الآثار
بتعانق أرض وعذارى وفضاءات
يا أم السّرج تعالي[2]

١- المقطع المكرر خالف إيقاع القصيدة لمقتضى الحال.
٢-٣- أم السَرج ومغارة القتيل من آثار منبج التي شغفت الطفل.







يا أولى الكلمات الحجريه
و"مغارة"[٣] كانت أول كشف لصبي
سكنته الأحزان الكونيه
والحب الأشقر!
حلم يتكاثر في ذاكرتي يتكاثر
فلعل الحلم يضيء سراج العمر الآفل
ولعل الحلم يصب النار فيشتعل الداخل
ولعل الحلم، البسمة تولد في الزمن القاحل
ولعل طفولتنا تأتي..
تُسعف فينا الرجل الذاهل
حلم يتكاثر
لا تبخلْ يا زمني الهارب بالحلم الكامل
دهستنا عرباتٍ الأيام
قصفتنا طفلا.. طفلا
زرعت فينا الصبّار..
وغطى الصبّار على الورد الذابل!
هذا حلمي من بين الأكداس..
ومن بين الأشواك.. يحاول؟
فدعوني أتكاثر في حلمي
حتى آخر نبض في لحني
ودعوني أبحث عني
عن حلم يُدعى الطفل الناصع
كي أجد الرجل الضائع
كي أتعانق والزمن الوادع
كي أزداد رفيفاً بالوطن الفارع
ودعوني أعزف نبض غنائي:
"العصافير امتداد لرؤايْ
والفراشات ابتداء لتلاوين خيالي
لا.. فلا توقظ شياطين شقاي
لا.. فلا توقظ شياطين شقاي!"




شيء من الحقيقة

بقلم: صلاح الدين عيسى

بما أن الكتاب تهدف إلى تهذيب النفس وتنوير الآخرين بحقائق الأمور، وأن المثقف وحده من تناط به مهمة إيصال الكلمة إلى عقول الناس، فإنه يتوجب علينا تعظيم تلك المهنة المتعبة للروح والجسد بآن واحد، علينا تبجيل من اختار الصدق منجاة لنا.. من فضَّل الحقيقة على زيف يدفعنا إلى الهاوية. المثقف.. سيّانَ التزامه بالصمت حيال كثير من الأمور، أو تنديده بها.. مستَجْلِياً الإيجابيات والسلبيات في سلوكيات الأفراد والنخبة؛ فإنه وفي كل الحالات، لن يسلمَ من أذية من يستكثر فيه عبقرية الإحساس ودقَّة الملاحظة، وعدم الرضوخ لما أُسميَ بواقع مفروضٍ يتوجَّبْ قبوله.

ربما من مثقف يندبُ حظهُ بأن وطئت قدماه المدرسة.. يلعن عزوفه عن تعلم صنعة، تضمن له استقراراً مادياً. الندب والعزوف، مردهما: حالاتُ ضعف تنتابه أحياناً.. مَردُّها تآلف قوى الظلم وتوحُّدِها، واستنباطها أحدث الأساليب للحدِّ من قدرته على الكتابة والإبداع، كأن يوهموه – مثلاً – بأنهم وعلى الدوام

بالمرصاد لكل نسمة يستنشقها.. لكل لوحة شعرية أو نثرية يُسطِّرها يراعه.. لكل فكرة تختمر وبصمت، لتنضُجَ فتُدْخِلَ الرَّهبةَ في أنفس من - وباسم العدل - يهتكون بكارة الفضيلة كل يوم ألف مرة.

من المثقفين مَنْ تُضْعِفُهُ وعورة الدرب فيعرِضَ بأبخسِ الأثمانِ فكرهُ وإحساسهُ لأوَّلِ عابر سبيل فرداً كان أم جماعة. منهم من يعزف على أوتار القوى المهيمنة، فإما أن يحصل على الفتات، أو أن تُفتحَ له أبواب النعيم حينما يُسَخَّرُ له الإعلام المقروء والمسموع والمرئي.. يصولُ ويجولُ مُعَظِّماً.. مُقَدِّساً قُدُرات الأفراد والنخبة.

من العوامل التي أقصت الأفرادَ عن دائرةِ الثقافة والتثقيف إصابتهم بالإحباط كونهم لم يروا فيها صوتاً يُدوِّي في عالمٍ.. تتكالبُ فيه الذئاب على وليمة دفعوا أنفسهم ثمنها.. (حرمانهم من الضوء والنعاس والحب والهواء والدواء...) لا مِنْ أحد يمتلكُ الحجة والإقناع بأن الفطرة وحدها، تدفع المرء لتهميش الثقافة والمثقفين؛ إنما انعدام الثقة بأكثر المثقفين وإتخام السوق بنتاجات غير ملتزمة لمتطفلين على الثقافة، وزجُّ العبادِ في أتون النكبات والنوائب، وحدها من جعل الثقافة بمعزل عن اهتمامات الأفراد.

هنا نلحظ التمييز بين كاتب يغوصُ في أعماق الحقيقة، وآخر يحالفُ الشيطانَ إنْ توَسَّمَ منه ارتقاءً في المنصب وكسباً للمال.

أمام هذا التحدي وهذا الإقصاء، يحاول الكاتب الحقيقي أن يشق طريقاً إلى قلوب أُصيبت بالتشوه، فبدلاً من أن يكون شمساً تسطعُ في سماءِ الحقيقة، فإنه يُمضي الوقتَ في لملمةِ جراحٍ أُثخنَ بها وأقرانه، ممَّنْ طحنتهم عجلة المجتمع بهوس الحضارة وزيف التمدن.

المثقف الحقيقي، لا يبرِّرُ الصمتَ باستبداد يطفو على السطح، لأنّهُ ذاتهُ من يمتلكُ الحريةَ ويهبها للآخرين.. دونَ هيَّابٍ بسلطة الأقوياء وإرهابهم، فكم من أمم خلَّدَتْ مثقفيها الملتزمين، وأيُّ قدرٍ لقيهُ لصوص الأدب وكتابُ البلاط وأشباهُ المثقفينَ ممَّنْ يتسكعون على أرصفةِ اليأس ويتسولون في أروقة الثقافة!




صفر بليغ أنا ..

شعر: سمير سنكري

نَوحُ الحمامِ على أمواه خلجاني
أبْقى النوارسَ يقظى فوقَ أجفاني
أصواتُها حشرجاتٌ ضَجَّ مِعزَفُها
وللبُكاءِ نزيفٌ بينَ ألحاني
أصغي إليه يحلمٍ باتَ ممتطياً
سرْجَ الفضَائحِ يرعاها بإذعانِ
حيثُ الحياةُ غَفاءٌ بين أروقَةٍ
لا حِسَّ فيها كما لو كانتِ الجاني
هل للسماء خبايا ماتَ مَعْلَمُها
لا عَفْوَ فيها ولا ألطافَ تحنانِ
أم للسماءِ فضاءٌ من صدى حُلُمٍ
يُراقُ دوماً على أشْلاءِ إنسانِ
وللحياةِ وجوهٌ شاخَ رونَقُها
في زحْمَةِ البَحْثِ عن أسرارِ أحزاني
ما عشْبها والندى قد ضَلَّ وجْهَتَهُ
في غيبةِ النورِ عن أفلاكِ أكواني
ودهْشَتي انتَفضتْ في وجهِ راسمها
وأيقَظَتني لِيأسي طيفُ وجداني
أمَّا الحَمائِمُ أشْتاتٌ مُسافِرةٌ
تلاطِمُ الريحَ في صمتٍ بودياني







مثلَ الكلامِ الذي دانتْه محكمةٌ
عن كلِّ حرفٍ نجا من حبرهِ القاني
قد غادرَ الفكرُ منه وانثنى حَرداً
لولا الحكايا التي ظلّتْ بحسْباني
العمرُ مكتبةٌ سَدَّ الفراغِ بها
بما يُناسِبُ أهلُ الذوقِ أضناني
أقْتاتُ نفسي شقاواتٍ مبطَّنةً
وأصلبُ المَدَّ أمواجاً لشطآني
وأربطُ النجمَ في دربٍ عَوالِمُها
عند المَجَرَّةِ فيها كلّ فرساني
وقَفتُ أبكي إلى الأزمانِ في قلَقٍ
يأسى منَ الخوفِ إذ ما الظِلُّ أدماني
كلُّ البراعمِ والأغصانِ قد نَزَفَتْ
عِطْرَ التحيّات في صمتٍ بكتمانِ
وللعَناكبِ أمراسٌ تحوكُ بها
حضنَ الغباوةِ في زُعرٍ وإيمانِ
صفرٌ بليغٌ أنا في ظِلِّ محكَمَةٍ
جُنَّتْ بصفْري الذي باللوم غطّاني
وهْمٌ توالدَ في ليلٍ كواكِبُهُ
مثلَ السَرابِ تولاني وأغْواني
سَكنتُ صوتي وأحلامي وما اكتسبتْ
أشواقيَ الكُثرُ من كشكولِ ألواني
مثل الجواري التي قد غاب حاضرُها
في ظِلِّ أُحجيَّةٍ في وجهها الثاني
وطائر في السما ضاعتْ قوادمُه
بين الغيوم التي ماست بعنواني







فهل أنا في لظى النيران فاكِهَةٌ
ضجَّتْ لِتلقى الأنا تَضْنى بِنيراني
وغائِبٌ ضمنَ وقتي أختفي بِرؤىً
في صيغَةٍ مَلَكتْ عمري ببهتانِ
صدري به رِئةٌ سُدَّتْ منافِذها
وغابَ عنها عزيفُ الأنسِ والجانِ
صدري مقامٌ لِروحٍ ترتدي صَخَباً
وتَعْجِنُ الجُرحَ في أطرافِ بنياني
ذاتي انكسارٌ لآراءٍ مُضَمَّخَةٍ
في صمتِ موتٍ تماهى بين أكفاني
صدري اندحارُ لأطيافٍ بيارِقُها
تشكو انعدامَ الهوا والصمتُ أشقاني
مَددتُ نَسْغي بعمقِ الأرضِ أسألها
فضْلاً منَ الحلْمِ إن ما زالَ يهواني
لكن خيالي انبرى يمشي على جَسدي
عشقاً تقطَّرَ من دمعي فأعماني
كأنَّ صدري حبيسُ الموتِ يرمقهُ
في هدأةِ الليلِ إعصارٌ بِشرياني
حاجيتُ فكري وأزماني التي دُحِرتْ
في ظلِّ أدمِغَةٍ شُلَّتْ بِإمعانِ
ما للتواريخِ قد ضاعتْ معالِمُها
بين الحكايا وفي تقديسِ أزماني
سمعتُ أمراً أتاني بعدَ ملحَمَةٍ
من الصِراعِ الذي بالنور حاكاني
اخلق ربيعاً ونسْغاً في منايِتِنا
واسقِ الأحِبةَ كأسَ العاشِقِ الهاني




العلامة إلياس صالح

بقلم: سامر عوض

هو الياس صالح اللاذقي، الذي كان ولا يزال منارة إلى اليوم ترشد وتهدي البشر إلى معرفة التاريخ والأدب والشعر واللحن، فهو باحث، موسيقي، ملحن، مترجم، وأديب. يعتبر من أعظم أدباء اللاذقية في القرن التاسع عشر لما قدم من أدب وتاريخ وترجمات، تعتبر إلى اليوم منارة ضياء مشرقة. فحياته كانت فسيفساء من العطاءات لتنوع المجالات التي أبدع فيها فهو مَن ألف المصدر الأوسع والأقدم عن اللاذقية، ألا وهو (آثار الحقب في لاذقية العرب)، ومحتوى هذا المخطوط يجعله يرقى إلى مستوى موسوعة كثيفة المعلومات والسرود التاريخية والقصص الشعبية والتقليدية.

تعود جذور أسرة صالح إلى غزة وأقدم اسم وصل إلينا منها هو المعلم صالح (١٧٣٠-١٧٩٠)، الذي كان موظفاً مسيحياً مرموقا في ديوان الدولة، وله ولدان خليل وسمعان، الذي ولد سنة ١٧٦٠ وبارح غزة متجهاً إلى يافا، بعد أن استقدمه إليها محمد أبو مرق رئيساً لكتّاب أيالتها، وقد ترمل عن ولد اسمه سالم وعدة بنات، إلا أنه تزوج لاحقاً، من إيرين ابنة حنا كبة حاكم اللاذقية الفعلي، والذي هاجرت عائلته إلى يافا والتي طلب محمد أبو مرق الزواج منها، وقد أنجبت إلياس وموسى وثلاث بنات، وفي سنة ١٨٢٥ قتل سمعان صالح، ولمّا حاصر إبراهيم باشا بن محمد علي يافا سنة ١٩٣١، اضطرت أرملة سمعان للعودة إلى اللاذقية مع والدتها وابنها موسى وبناتها، وفي سنة ١٨٣٧ تزوج موسى من فتاة ماتت بعد عرسها بأربعين يوماً، فتزوج مناشة بنت إلياس نعمة، والتي أنجبت ثلاثة أولاد بكرهم إلياس، إلا أن موسى قد تعاطى تجارة التبغ ولكنه خسر أمواله مما اضطره لأن يسافر إلى

القدس سنة ١٨٤٩، وقد مات فيها سنة ١٨٦٧.

ولد إلياس صالح في ٢٦ كانون الثاني ١٨٣٩، كان شغوفا بالإطلاع على الكتب وتعلم القراءة وفن الخط منذ سني مراهقته، وكان يكتب على الجدران وأخشاب النوافذ إذا لم يعثر على ورق، دخل سنة ١٨٦٠ مدرسة الذكور التي أسستها حينها الإرسالية الأميركية، وفي تلك المرحلة أتقن اللغة العربية والخط العربي إتقانا فائقاً، ومن الكتب التي قرأها (شرح ألفية ابن مالك) لابن عقيل، و(فصل الخطاب)، و(نقطة القوافي) للشيخ ناصيف اليازجي، وقد أتقن اللغة التركية، وألمَّ بالفرنسية والإنكليزية والإيطالية. عيِّن سنة ١٨٦٦ ترجماناً لقنصلية أميركا في اللاذقية، ثم تعاطى التجارة ولكنه لم ينجح فيها، إلا أن أحواله تحسنت لأنه جنى بعض الربح لاشتراكه في التزام أعشار قضاءَي اللاذقية وجبلة، وفي سنة ١٨٦٩ كلفته الإرسالية الإنجيلية أن ينظم سفر المزامير شعراً، ليتمكن المؤمنون من ترنيمه بلغتهم أثناء العبادة، وفي سنة ١٨٧٠ عيِّن مراسلا لكل من مجلة الجنان، وجريدة الجنة، اللتين كان يصدرهما في بيروت بطرس البستاني.

تزوج سنة ١٨٧١ من اليونانية لوكيابتروفيتش المقيمة في بيروت، وقد تعرَّف عليها من خلال نسيبها مطران اللاذقية ملاتيوس الدوماني (١٨٦٥ – ١٨٩٩)، وفي تشرين الثاني ١٨٧٢ عند سفر قنصل أميركا إلى الخارج تولى مؤقتاً تصريف أعمال القنصلية، ثم شرع في تأليف تاريخ اللاذقية الذي بدأ بكتابته سنة ١٨٧٣، وفي أواخر أيلول ١٨٧٤ سافر إلى مصر ليطبع ترجمته لسفر المزامير وبقي هناك حتى حزيران ١٨٧٥، وفي تموز استقال من وظيفته في القنصلية الأميركية لينصرف إلى الخدمة في جهاز الدولة، فانتخب عضواً لمجلس دعاوى القضاء، وعند تشكيل المحكمة البدائية انتخب عضواً فيها، وتجدد انتخابه لما يتمتع من كفاءة ونزاهة ووطنية صادقة، ولما قدَّم من نفع وخدمات، وعيِّن حينها رئيساً للجمعية الخيرية الأرثوذكسية، وبذلك تبوأ مكانة مرموقة جداً في المجتمع والأوساط الحكومية، ولعب دورا هاماً في رفع رتبة اللاذقية من قائمقامية إلى متصرفية بعد أن كلِّف سنة ١٨٧٩بوضع مذكرة بهذا الخصوص، كي ترفع إلى الوالي مدحت باشا، وقد تجلت مكانته الأدبية بالعلاقات الوثيقة التي كانت تربطه بالأدباء والشخصيات الكبيرة في ذلك الزمان في المدن السورية واللبنانية وفي مصر. ولكن وبعد مرض قصير المدة لا تذكر المصادر سنة بدئه وقد يكون عام ١٨٨٣ سنة انقطاعه عن كتابة تاريخ اللاذقية بشكل كبير، فقد توفي في فجر ١٥ أيلول سنة ١٨٨٥، عن عمر ناهز السادسة والأربعين، شيعت جنازته في الساعة الأولى من بعد الظهر، بمشاركة موظفي الدولة ووكلاء القناصل وأعيان المدينة، وقد صليَّ عليه في كنيسة مارسابا التي دفن في المقبرة التابعة لها حينها.

آثاره

أولاً- أعماله المنشورة:

١- (مراثي وديوان إلياس صالح) : كتاب شعر يقع في ١٦٤ صفحة، جمعها وأشرف على تبويبها الشاعر إدوار مرقص بتكليف من رفيق صالح ابن إلياس، ويحوي سبعة أبواب وقد طبعه رفيق سنة ١٩٠٠، كعربون تقدير لوالده وذكرى له، مع شعر لرفيق يناجي والده

ويستذكره، وسيرة حياة إلياس بقلم الشاعر أسعد داغر، وأقوال رثائية عن الفقيد من أعيان البلدة، وما أوضحته الجرائد عنه عقب وفاته من تعبير عن الحزن والأسى لوفاة هذا الأديب البارع، وأشعار رثاء بقلم أسعد داغر، حنا نقاش، سامي كومين، إبراهيم رزوق، اسحق شيبوب، وآخرين كثر ممن رثوه شعراً.

الباب الأول الغزل والنسيب إذ يقول:

مـرّت سُـحيرا فيـا الله كـم سـحرتْ
بـاللّحظ قلبـا وكـم مـن مهجـة أسـرتْ
قويمـةُ القَـد لا طالـتْ ولا قصـرتْ
ورديـةّ الخـد بـالورد قـد خطـرتْ
تمـيسّ تيهـا وتسـبي النـاس إعجابـاً

وقال أيضاً:

سـألتها عـن فـؤادي أيـن مسـكنُهُ
لمّـا التقْينـا وأحيـا النّفس مرآهـا
وهـي التـي قـد غـدتْ فـي فقـده سـبباً
لأنـه ضـاعَ منّـي حـين ملَقاهـا

الباب الثاني: ويتضمن مراسلات شعرية مختلفة إلى أقارب ومعارف وأصدقاء من حلب وطرابلس والقدس، وذلك إما للشكر والامتنان أو ردّاً على رسالة واردة شعراً أو نثراً، أو لطلب شيء معين كما وكان يرثي برسائله الفدائية التي يرسلها ومما نجده رسالة رثاء شعري للأديب فرنسيس مراش، إذ يقول:

يـا أيهـا الخـلُ مـن أقـرَّ لـه
بـالعلمِ والفضـل كـل مـنَ بـرعَ
جلـوت لـي غـادة بهـا كأنّمـا
صـديقكم للعـذار قـد خلعـا

الباب الثالث: أشعار للمدائح والتهاني بمناسبة ترقي قائمقام اللاذقية، وسفير روسيا حينها، ومطرانها الجديد ملاتيوس الدوماني (أصبح فيما بعد أول بطريرك عربي على أنطاكية)، ولقنصل إنكلترا فيها، ومدح إسماعيل باشا خديوي مصر بعد أن اقترح عليه ذلك بطريرك الروم الأرثوذكس في القاهرة، لإحسانه للفقراء وبنائه مدرسة الطائفة، إذا يقول:

البشرُ فـي قطـر مصـرَ قـد فـاح عطـرُه
والـيمُن قـد نـورّت فيـه أزاهـرهْ
قطـرٌ زَعتـه فأضـحى السّـعد يخدمـه
عـين الخـديوي وأحيتـهُ مـآثرهْ

وقد هنأ أحمد أفندي الصالح لتوليه أول متصرف على متصرفية اللاذقية، بعد إعادة لوائها سنة ١٨٧٩، وغير ذلك من التهاني.

الباب الرابع: المراثي والتعازي فقد رثى العديد من فواجع الشباب، إذ كتب في موت سليم البستاني:

أبـدى لنـا الـدّهرُ مـن أحكامـه عبـرا
فـي كـلّ يـوم وكـم يجـري لنـا عبـرا
وكأننـا لـيس نـدري أننـا بشـرٌ
عقبـاهم المـوت طـال العمـر أو قصـرا

الباب الخامس: تضمن أشعاراً قيلت في مناسبات مختلفة ومواضيع متعددة فقد ألقى قصيدة في والي سوريا مدحت باشا، حين

قدومه إلى اللاذقية لأجل تنصيب المتصرفية سنة ١٨٧٩، حيث قال:

يا مدحت العصر الذي بكَ فخره
ونتيجةُ الدّهر الذي بكَ يحمدُ
أشرقت فيها ما حيا ظلم الشقا
فلألأت في فلك السعادة فرقد

وقد وصف الكثير من المشاهد الطبيعية لمدينة اللاذقية .

الباب السادس: وهذا الباب يتكون من ثمانية مدائح لمريم العذراء، وتتألف كل مديحة من لازمة وثلاثة أو أربعة أدوار، إذ يقول:

عذراءُ يا أمَّ العجائب
يا نجاتي في النوائبْ
أنتِ يا بكرُ ارحميني
وادفعي عنّي المصائبْ
أنتِ يا عونَ البرايا
للورى بابُ النجاه
فيكِ غفران الخطايا
يُرتجى عند الإله

أما الباب السابع: فبمثابة مرجع تأريخي لما جرى من أحداث على زمانه، كتشيد لتربة أو مسجد أو كنيسة أو ولادة ابن أحد الأعيان أو وفاة أحد الرسميين في اللاذقية.

٢- (بهجة الضمير في نظم المزامير): الطبعة الأولى في المطبعة الأميركية الإسكندرية سنة ١٨٧٥، أما الطبعة الثانية في بيروت سنة ١٨٨٣، والتي تتألف من ٨١٤ صفحة. يتألف الكتاب المقدس من عدة أسفار في عهديه القديم والجديد، ويعتبر سفر المزامير من العهد القديم وقد نظمه عدة شعراء وأدباء، ولكن القسم الأكبر منه قد نظمه داؤود الملك والمرنم، ويحتوي على ١٥٠ مزموراً، بصورة شعرية من حيث طريقة سرد الأحداث والمشاعر واستخدام الألفاظ، ويُقرأ هذا السفر في نصوص العبادات، وكثيراً ما يرتل خصوصاً في الكنيسة الإنجيلية، وقد نظمه شاعرنا بناء على طلب الإرسالية الإنجيلية (كما أسلفنا)، بشكل شعر تفعيلة موزون، يتألف البيت من شطرين بقافية وزنية مع الحفاظ على سلامة المعنى ودقة تسلسل الكلمات والأفكار.

٣- (آثار الحقب في لاذقية العرب): مخطوط بخط يد إلياس صالح نفسه، ويعتبر المصدر الأوثق والأشمل حول تاريخ المدينة لقدمه بتفصيله لدقائق الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية مع شرح لبعض الظواهر الموجودة، وآثار البلدة وكنائسها وجوامعها ومساجدها، وأهم الحوادث والأحداث التي لعبت دوراً هاماً في تغير مسار الحياة عموماً، وقد كتب هذا المخطوط من سنة ١٨٧٣ إلى سنة ١٨٨١، يقسم المخطوط إلى ثلاثة أقسام، الأول: وضع المدينة سنة ١٨٧٣ وموقعها الجغرافي، وإحصاء عدد السكان، والمنازل والمباني الأثرية والصناعة والزراعة والتجارة، ويفصل تاريخ لواء إسكندرونة وسكانه والزراعة فيه. أما القسم الثاني فيشمل تاريخ المدينة بالتفصيل ويقسم إلى ثلاثة فصول:

أ- الأول: عن تاريخ المدينة من العصور القديمة إلى الفتح الإسلامي.

ب- أما القسم الثاني: من الفتح العربي إلى عهد الصليبيين والمماليك.

ج- أما القسم الثالث: فيتحدث عن اللاذقية خلال مرحلة الاحتلال العثمانية.

وفي واقع الحال فإن القسم الأخير، يعد الأكثر دقة من الناحية التوثيقية، حيث يسطر الكاتب ما يرى. ولكن العلامة جبرائيل سعادة يؤكد بأن إلياس صالح كان يضع دليل مصدر المعلومة إن وجد، والوزير اللاذقي الأصيل يوسف الحكيم، يقول بما نصه: (إن سرد الحوادث مدعمة بأسماء مقترفيها والضحايا كان سبب إهمال طباعة المخطوط أثناء حياة المؤلف وعقب مماته).

٤- (خطبة في حقيقة التهذيب): هو أول كرّاس مطبوع لصالح، وتكمن أهميته في كونه يعبر عن أفكار تجول في خاطر شاب عمره سبعة وعشرون عاماً يقطن في بلدة يبلغ عدد سكانها أحد عشر ألف نسمة،

يدعو إلياس صالح في بحثه هذا إلى ضرورة الاهتمام باللغة العربية وطرق تدريسها حيث يقول بما نصه: (إن تدريس اللغة العربية في المكاتب البسيطة ليس هو إلا عبارة عن تعليم تهجئة الألفاظ والتعلق بها سواء فهم معناها أم لم يفهم، ولا نخفي أن الألفاظ هي قوالب للمعاني فمن تعلم اللفظ دون معناه تعلم عملاً متيناً لا متعة فيه)، فهو يعتبر أن من واجبات الجيل الجديد أن يتمتع بتهذيب العقول بالعلوم، ويدعو إلى الابتعاد عن الكسل والإهمال وأن على من ترك المدرسة متابعة القراءة والإطلاع لئلا يتقهقر إلى الوراء إذ يقول ما نصه: (كما يعتني الإنسان بتغذية جسده بالمأكل والمشرب يجب أن يعتني بنوع أخص بتغذية عقله بالعلوم والمعارف بواسطة البحث والمطالعة).

ويطالب الشبَّان بعدم تقليد عادات البلاد الأجنبية ويحثهم على تهذيب أنفسهم، وما يسميه بالمحبة الوطنية فيجب اتحاد قوى العزم بين الشبان للوصول إلى كل ما من شأنه تقدم وإنجاح الوطن، ومن جهة ثانية يدعو إلى تعلم النساء كي يقرأن، في أوقات الفراغ مما يعود بالفائدة على أنفسهن وأزواجهن وأولادهن، فذلك أفضل من جلوسهن في زاوية الجهل وأخيرا ينهي بحثه بالقصيدة التي قال في مطلعها:

فجرُ العلومِ على أرجائكم طلعا
فنبّهوا منكم الطّوق الذي هجعا

ثانياً- الأعمال غير المنشورة:

تعريب عن التركية:

١- (قانون التجارة الهمايوني).

٢- (قانون الرسوم التي تقتطع في المحاكم العثمانية).

٣- (ما لم يعرب من النظامات المتعلقة بالمحاكم النظامية).

٤- (أحكام ونظامات وتعليمات الولايات في الحكومة العثمانية).

تعريب عن الفرنسية:

١- (مذابح سوريا سنة ١٨٦٠ لفرانسوا لو نورمان).

٢- (رسائل مسيوبوجولا عن سياحته في اللاذقية ولوائها سنة ١٨٢١) أسوة بمخطوطات أدبية، وجدير بالذكر أن أسعد خليل داغر هو الوحيد ممن نوه إلى يوميات إلياس صالح من سنة ١٨٧٥ وحتى سنة١٨٧٨، إلا أنه لم يبقَ لهذه الآثار غير المنشورة أي أثر، إلا أنه يوجد بعض المقالات المنشورة له في (الجنان) والجنة.